



Research Article

الامثال الواردة في حاشية الشهاب (ت ١٠٦٩هـ) على تفسير البيضاوي (ت ٦٨٥هـ) - دراسة دلالية

Proverbs in the Footnote of the Meteor (d. 1069 AH) on the Interpretation of Al-Baydawi (d. 685 AH) - A Semantic Study

ساجدة تركي عيدان، أم.د.محمود سليمان عليوي

كلية العلوم الاسلامية جامعة الفلوجة/بحث دراسات عليا

الملخص

تُمثل دراسة الامثال التي تعد أحد فنون القول النثرية، دراسة مهمة لأنها تكشف عن المستوى اللغوي الذي يتكلم به أهل اللغة، ولأن الأمثال تكلم بها عامة الناس وخاصتهم، للتعبير عن مرادهم، ذلك أن المثل حُنْكَة العرب في الجاهلية والإسلام ، فقد صور حياة الناس، وأحوالهم، وقد أوجزت العرب لفظه، فأشبعته معناه، وقصرت عباراته، فعم مغزاه ، وكان من أهم الدوافع التي حدثت بي إلى دراستي " المنحى الدلالي للأمثال في الصفات الإنسانية "، فكان في ثلاثة مباحث، المبحث الأول: حياة الشهاب وأثاره، والمبحث الثاني: الصفات الإيجابية، والمبحث الثالث: الصفات السلبية: .وأما الخاتمة فكانت في أهم النتائج التي توصلت إليها في البحث. ثم اتبعت البحث بقائمة اشتملت على المصادر والمراجع التي استخدمت في الدراسة.

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الكلمات المفتاحية: الامثال في حاشية الشهاب دراسة دلالية

Sajida Turki Idan, Mahmood Sulaiman Aliwe

Faculty of Islamic Sciences University of Falija

Abstract

The study of proverbs, which is one of the arts of prose sayings, is an important study as it reveals the linguistic level at which the people of the language speak. Because the proverbs were spoken by the general public and their own, to express what they want, also because the proverb is the skill of Arabs in the pre-Islamic era and Islam, they depicted people's lives and their conditions. The Arabs summarized its word, saturated its meaning, and shortened its phrases, so its meaning became

OPEN ACCESS

Corresponding Author: Sajida

Turki Idan: Email:

1310201118@uofallujah.edu.iq

Published 13 March 2023

Publishing services provided
by Knowledge E

© Sajida Turki Idan. This article
is distributed under the terms of
the Creative Commons

Attribution License, which

permits unrestricted use and
redistribution provided that the
original author and source are
credited.

Selection and Peer-review

under the responsibility of the

AICHS Conference Committee.

widespread. One of the most important motives that led me to my study was "the semantic trend of proverbs in human qualities." It was in three sections, the first topic was the life of the meteor and its effects, the second topic was the positive qualities, and the third topic was negative attributes. As for the conclusion, it was the most important result that I reached in the research. Then the research was followed by a list of sources and references that were used in the study. And Praise be to Allah, the Lord of the Worlds.

Keywords: At the foot of the Hassii Al Shahabh Study.

المقدمة

الحمد لله الذي عز فحكيم، وأعطى وأنعم، وعلم بالقلم، والصلاة والسلام على سيد الخلق، وخاتم المرسلين محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه ذوي الهمم، أما بعد:

فقد قال تعالى: {وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} ()، وقال تعالى: { وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ } ()، وقال الله عز وجل: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا} ()، لو أمعنا النظر في هذه الآيات المحكمات، لوجدنا أن الله تعالى كشف عن غرض الأمثال، وعبر عن ذلك بأدق تعبير، ذلك أن الأمثال السائرة على ألسن العامة من الناس والخاصة، استرعت انتباه العلماء والادباء، وجعلت قلوبهم تميل إلى استعمالها في خطبهم وكتبهم، فقاموا على جمعها وشرحها والكشف عن مواطن الغموض فيها، في مؤلفات قيمة للمحافظة عليها من الضياع، فنلاحظ أن من قام بجمعها بمؤلفات مرموقة هم من نوابغ الأدب، أمثال: أبي عبيد (ت 224هـ) والميداني (ت 518هـ) والزمخشري (ت 538هـ) وغيرهم، فقاموا بالكشف عما غمض وصعب من كلماتها، وذكر مواردها اللغوية والصرفية والنحوية، ومن الجدير بالذكر أن علماء اللغة العربية قد عرفوا المثل تعريفات عديدة، قال إبراهيم النظام: "يجتمع في المثل أربعة لا تجتمع في غيره من الكلام: إيجاز اللفظ وإصابة المعنى وحسن التشبيه وجودة الكناية" ()، وغيره الكثير من التعريفات فقد اختلف العلماء في تعريفهم للمثل، ولكن الأهم أن الجميع متفقون على أن الأمثال فن أدبي نثري، من أقدم الفنون الأدبية اللغوية التي تحمل معاني حضارية، فهي جزء من ثقافة الإنسان العربي، لأنها تعبر عن حياتهم وحوادثهم، فيها نقاوة وفطنة، ومعرفة مبتكرة، وقد عرفت الأمثال انتشاراً واسعاً في مختلف شرائح المجتمع، ولها حضور متميز في الأدب العربي القديم والحديث. وتظهر أهمية الأمثال من الناحية الفنية والأدبية في العديد من الدراسات التي تناولتها بالتحليل من جوانب مختلفة، فمن الباحثين من درس لغتها، ومنهم من أعتنى بالبحث عن المصادر التي تناولتها، وعلى الرغم من الحجم الكبير الذي تناول دراسة الأمثال، تبقى الحاجة إلى المزيد من الاهتمام والدراسة لتوضيح أبعادها الدلالية واللغوية والجمالية.

" المبحث الأول "

أولاً/ حياته وأثاره:

اسمه:

هو أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي ()، ونسبه يرجع إلى قبيلة بني خفاجة (مصري النسب عاش على أرضها، ودفن فيها، أما مذهبه الفقهي فهو حنفي، لقب بالقاضي لأنه تولى القضاء على مدينة (أسكوب) في عهد السلطان مراد، ثم ولي بعدها القضاء على وطنه الأم مصر () .

مولده:

ولد الشهاب سنة 977هـ-1569م وكانت ولادته قرب القاهرة في قرية تدعى (سرياقوس) () .

نشأته وطلبه للعلم:

نشأ الشهاب في حجر أبيه محمد بن عمر الخفاجي (ت-1011هـ) ويعد من خيرة علماء عصره، كان يعلمه ويؤديه، ثم أنطلق ليدرس النحو وعلوم العربية على يد خاله، أبي بكر بن إسماعيل بن شهاب الدين الشنواني، (ت-1019هـ)، الملقب ب(سيبويه زمانه)، حيث قرأ عليه علوم العربية ()، ودرس علم المعاني والمنطق وبقية علوم الأدب، بعد ذلك توجه لطلب الفقه، فقام الشهاب بالنظر في كتب المذهبين الحنفي والشافعي، ولاسيما كان هذان المذهبين من أهم المذاهب في مصر وقت ذلك () .

شيوخه وتلاميذه:

أخذ الشهاب علمه من خيرة علماء زمانه ولعل أهم من أخذ عنهم هم الذين ذكرهم الخفاجي نفسه في (ريحانة الألبا) وهم:

1. أبو بكر بن إسماعيل بن شهاب الدين الشنواني () وكما ذكرنا كان سيبويه زمانه .
 2. شمس الدين محمد بن أحمد بن حمزة بن شهاب الدين الرملي الملقب بـ (الشافعي الصغير) () .
 3. علي بن يحيى (نور الدين الزبيدي المصري) () .
 4. علي بن محمد بن علي بن خليل المعروف ب (أبن غانم المقدسي) () .
 5. إبراهيم بن عبد الرحمن العلقمي القاهري الشافعي () .
 6. العلامة أحمد بن علي العلقمي () .
 7. محمد بن نجم الدين بن محمد الملقب بشمس الدين الدمشقي () .
 8. الأديب أحمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الكريم العنباياتي () .
 9. الشيخ محمد المغربي الملقب بركوك () .
- وغيرهم من العلماء، نلاحظ أن الشهاب قد تلقى تعليمه من منابع متعددة لأنه لم يجالس فقط أساتيد الدين واللغة والأدب، وإنما أخذ علمه من كل فن، وكانت لديه همة عالية في طلب المعرفة من كل شيء.

تلاميذه:

إن تلاميذ الشهاب كثر لأنه كان من أساطين النحو واللغة والأدب، وكان ذا ثقافة دينية واسعة، فأتاه الطلاب من كل صوب ينهلون من علمه، وبرز منهم عباقرة واعترفوا بأن الشهاب كان له أثر في نبوغهم وبلوغهم تلك المكانة العظيمة من العلم.

أما الذين تتلمذوا على يد الشهاب هم:

1. عبد القادر بن عمر البغدادي صاحب الكتاب المعروف خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب () .
2. أحمد بن يحيى بن عمر الحموي مفتي الشافعية بحماه () .
3. فضل الله بن محب الله بن محمد المحتي () .

4. محمد بن عمر الخوانكي ().

5. أحمد بن سعيد المكيدي ().

مصنفاته: قمت بذكر المصنفات التي ذكرت فقط في كتابه، ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا وهو الكتاب الوحيد المحقق من بين كتب الشهاب الخفاجي، حققه الأستاذ عبد الفتاح الحلو، وكشف عن طبعاته السابقة، وأماكن وجود نسخه المخطوطة (، أما المطبوع منها فهي:

1. طراز المجالس ().

2. حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي ().

3. نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض ().

4. خبايا الزوايا فيما في الرجال من البقايا ().

5. شرح درة الغواص في أوهام الخواص ().

6. شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل ().

7. ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا ().

8. ديوان الأدب في ذكر شعراء العرب ().

أما كتبه المفقودة فهي:

1. الرسائل الأربعون (). 2. الشهب السيارة (). 3. الكُنس الجواري (). 4. الرحلة (). 5. رسالة في علم العروض ().

6. حواشي الرضي والجامي ().

وغيرها من المصنفات المتعددة التي قام بتأليفها الشهاب.

المخطوطات:

1. رسالة في الإيمان ().

2. رسالة في متعلق البسملة ().

3. مطالع النور السنّي المبني عن طهارة نسب النبي العربي ().

وفاته:

كانت وفاة الشهاب رحمه الله تعالى، في يوم الثلاثاء، الثاني عشر من شهر رمضان المبارك، سنة 1069هـ، 1659م، قد ناف على التسعين، وكان قد توفي قبله بثلاثة أشهر الفقيه الكبير محمد بن أحمد الشوبري الملقب بالشافعي الصغير، فقال فيهما أحمد محمد الحموي المصري يرثيهما وكان قد قرأ عليهما:

مضى الإمامان في فقه وفي أدب الشوبري والخفاجي زينة العرب

وكنت أبكي لفقد الأدب منفرداً فصرت أبكي لفقد الفقه والأدب ()

التعريف بالحاشية:

وصف الشهاب في الريحانة حاشيته بأنها تقوم على المنهج الشاق الذي يقوم على تفسير كل كلمة تقريباً ()، فهي حاشية على تفسير الإمام البيضاوي المسمى (أنوار التنزيل و اسرار التأويل)، وجمع الشهاب في هذه الحاشية لب الحواشي، وكتب الشهاب في مقدمة الحاشية مقدمة مجملّة وليست مفصلة وهي أن دلت على شئ إنها تدل على رسوخ قدمه في البلاغة والفصاحة واللغة، وقد ذكر الشهاب أسباب كتابته للحاشية ألا وهي المكانة العالية التي وصل إليها (تفسير البيضاوي)،

والذي دفع الشهاب إلى شرحه هو الغموض الذي يكتنف تفسير البيضاوي أحياناً، وكان باعتقاده أن تفسير البيضاوي مازال بحاجة إلى من يستخرج كنوزه، أما الهدف الأساس من تأليف الحاشية فهو توضيح وشرح تفسير البيضاوي ()، وقد طبعت الحاشية في خمس طبعات:

أولاً: الطبعة الأولى بأربع مجلدات، في القاهرة ()، ولا تعرف السنة التي طبعت فيها.

ثانياً: في إستانبول، سنة (1854م)، في ثمانية مجلدات () .

ثالثاً: طبعة بولاق، في القاهرة، سنة (1283هـ)، في ثمانية مجلدات، بتصحيح الشيخ محمد الصباغ () .

رابعاً: الطبعة الرابعة في بيروت، وهي مصورة عن طبعة بولاق، وغير معروف السنة التي طبعت فيها.

خامساً: طبعة دار الكتب العلمية، في بيروت سنة (1417هـ-1997م) تحقيق: الشيخ عبد الرزاق المهدي، في تسع مجلدات، وكل مجلد بجزئين، واعتمدت هذه الطبعة في كتابة بحثي ()

ثانياً مفهوم الدلالة:

إن موضوع الدلالة موضوع قديم، اهتم بدراسته العديد من الدارسين، لذلك سأذكر تعريف الدلالة لغة واصطلاحاً.

أولاً: الدلالة لغةً: ذكره ابن منظور في معجمه إذ قال: " (دلل) أدلّ عليه وتدلّ انبسط... ودلّ فلان إذا هدى، ودلّ إذا افتخر.... ودلّه على الشيء يدلّه دلاً ودلالةً فاندلّ.... الدالُّ وقد دلّه على الطريق يدلّه دلالةً ودلالةً.... والجمع أدلّة وأدلّاء والاسم الدلالة والدلالة بالكسر والفتح والدلولة والدليلي قال سيبويه: والدليلي علمه بالدلالة ورؤسوخه فيها" () .

وقد ورد معنى الدلالة لغةً، عند الزمخشري إذ قال: " (دل ل) دلّه على الطريق، وهو دليل المفازة وهم أدلاؤها، وأدلت الطريق: اهتديت إليه" () . وجاءت الدلالة في معجم الوسيط بمعنى أرشد: " (دل) علّيه وإليه دلالة أرشد ويقال دله على الطريق ونحوه سدده إليه" () . من هذا يتضح أن الدلالة في اللغة، جاءت بمعنى الهداية والإرشاد والإيضاح، وقد وردت في القرآن الكريم بمعنى الإرشاد والتوجيه، في قوله تعالى: {إِذْ تَمْثِي أُمَّتُكَ فَنَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ} ()، بمعنى أرشدكم، أوجهكم، وأهديكم.

أما اصطلاحاً:

من الناحية الاصطلاحية فقد أتى الدارسون للدلالة عدة تعريفات ولاسيما عندما أصبحت علماً حديثاً، ومن أهم هذه التعريفات أنها تُعد: "أحدث فروع اللسانيات الحديثة وتعنى بدراسة معاني الألفاظ والجمل دراسة وصفية موضوعية" ()، من هذا يتضح أن علم الدلالة لا يهتم بالمعنى المعجمي فقط بل يتعداه إلى المعنى داخل السياق، ويعرفه أحمد مختار عمر إذ قال: "هو دراسة المعنى أو العلم الذي يدرس المعنى أو ذلك الفرع من علم اللغة الذي يتناول نظرية المعنى" ()، أو كما عرفه محمد سعد إذ قال: "علم الدلالة هو الذي يدرس المعنى بوجه عام، سواء على مستوى الكلمة المفردة أو الجملة" ()، من ذلك يتضح أن علم الدلالة يتعدى المعنى المعجمي للألفاظ إلى معاني الجمل والعبارات.

إن علم الدلالة من أقدم قضايا الفكر الإنساني، لو رجعنا إلى جذورها نجدها، دُرست من قبل العديد من الحضارات كالإغريق، والهنود، والعرب، وقد تم وضع قواعد وقوانين لهذا العلم من خلال الاستفادة من دراسات القدماء، ولا أريد أن أتوغل كثيراً في هذا الموضوع، لأن دراستي في هذا الفصل هي: المنحى الدلالي للأمثال في حاشية الشهاب، ولاسيما في الصفات الانسانية الإيجابية والسلبية التي تطرق لها الشهاب في حاشيته.

من خلال الأمثال التي جمعتها من الحاشية لاحظت شيئاً مهماً وهو تعدد مواضيع الأمثال دلاليًا، وتعرضها لمختلف مجالات حياة الإنسان التربوية والأخلاقية والاجتماعية، فهي لم تترك جانباً من جوانب الحياة إلا وأدرسته وعبرت عنه من خلال عبارات موجزة، فمثلاً تعرضت الأمثال لحياة الفرد وعلاقاته مع أفراد مجتمعه، تعرضت إلى جوانب أخرى تتعلق بسلوكه وأخلاقه داخل المجتمع الذي يعيش فيه، باعتبارها مرآة عاكسة للمجتمع وما يتعلق به من عادات وتقاليده، ومن أهم

المواضيع التي تطرقت اليها الأمثال ولم تغفل عنها موضوع سلوك الفرد داخل المجتمع الذي يعيش فيه، لأن صلاح الفرد يؤدي الى صلاح المجتمع.

" المبحث الثاني "

الصفات الإيجابية

تطرقت في المبحث الثاني الى الأمثال التي تحمل الصفات الإنسانية الايجابية، التي ذكرها الشهاب في حاشيته والتي دعا اليها، وتشجيع المتصف بها، لأن هذه الصفات تؤدي بالفرد إلى الطريق الصائب وتجعل منه إنسان سوي له مكانته في المجتمع، ومن بين هذه الصفات الإنسانية الايجابية نذكر:

أولاً: "إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا" ():

أورد الشهاب هذا المثل في شرحه على تفسير البيضاوي، في ثلاثة مواضع ().

وهو من الأمثال السائرة عند العرب يضرب في استحسان المنطق وإيراد الحجّة البالغة ()، وأصله في الصحيح من حديث رسول الله ع، فقد جاء في صحيح الإمام البخاري رحمه الله: (عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ عَمْرٍو، يَقُولُ: جَاءَ رَجُلَانِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَخَطَبَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ع: «إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا» ()).

وجاء في شرح الحديث أنّ الرجلين هما: عمرو بن الأهتم التميمي والزبير بن بدر التميمي رضي الله عنهما، وقيل غيرهما ().

وقصة هذين الرجلين ترويهما لنا كتب العلماء، فقد جاء في شرح كتاب الأمثال لأبي عبيد البكري: «لما سأل النبي عليه السلام عمرو بن الأهتم عن الزبير بن بدر فقال: هو مانع لحوزته، مطاع في أدنيه، فقال الزبير بن بدر: أما إنه قد علم أكثر مما قال: ولكن حسدني شرفي، فقال عمرو: أما إذ قال ما قال فوالله ما علمته إلا ضيق الصدر، زمر المروءة، لئيم الخال، حديث الغنى. فلما رأى أنه قد خالف قوله الآخر قوله الأول، ورأى الإنكار في عيني رسول الله، عليه أكمل التحية، قال: يا رسول الله، رضيت فقلت أحسن ما علمت، وغضبت فقلت أقبح ما علمت، وما كذبت في الأولى، ولقد صدقت في الأخرى. فقال النبي عليه الصلاة والسلام: إن من البيان لسحراً» ().

وإذا تنبنا ألفاظ الحديث نجد أنّ الجملة فيها مؤكّدان، هما (إنّ) وهي حرف مشبه بالفعل، و(اللام)، وهي حرف توكيد، ثمّ نجد أنّ ألفاظه هي (البيان)، و(السحر)، فما هما، وما دلالتهما؟

ف (الْبَيَانُ) الْفَصَاحَةُ وَاللَّسْنُ ()، ورجع ابن فارس إلى جذر الكلمة، فقال: « الْبَاءُ وَالْيَاءُ وَالنُّونُ أَصْلٌ وَاجِدٌ، وَهُوَ بُعْدُ الشَّيْءِ وَأَنْكِشَافُهُ... وَبَانَ الشَّيْءُ وَأَبَانَ إِذَا اتَّضَحَّ وَأَنْكَشَفَ. وَقُلَانٌ أَبِينُ مِنْ فُلَانٍ ; أَي أَوْضَحُ كَلَامًا مِنْهُ» ().

وأما (السحر)، فقال ابن فراس: « (سَحَرَ) السَّيِّئُ وَالْحَاءُ وَالرَّاءُ أَصُولٌ ثَلَاثَةٌ مُتَبَايِنَةٌ: أَحَدُهَا غَضُوٌّ مِنَ الْأَعْضَاءِ، وَالْآخَرُ خَدْعٌ وَشِبْهُهُ، وَالثَّالِثُ وَقْتُ مِنَ الْأَوْقَاتِ... وَأَمَّا الثَّانِي فَالْسِحْرُ، قَالَ قَوْمٌ: هُوَ إِخْرَاجُ الْبَاطِلِ فِي صُورَةِ الْحَقِّ، وَيُقَالُ هُوَ الْخَدِيعَةُ. وَاحْتَجُّوا بِقَوْلِ الْقَائِلِ:

فَإِنْ تَسَأَلِينَا فِيمَ نَحْنُ فَإِنَّا ... عَصَافِيرُ مِنْ هَذَا الْأَنَامِ الْمُسْحَرِ

كَأَنَّهُ أَرَادَ الْمَخْدُوعَ، الَّذِي خَدَعْتَهُ الدُّنْيَا وَغَرَّتْهُ. وَيُقَالُ الْمُسْحَرُ الَّذِي جُعِلَ لَهُ سِحْرٌ، وَمَنْ كَانَ دَا سِحْرٍ لَمْ يَجِدْ بُدًّا مِنْ مَطْعَمٍ وَمَشْرَبٍ» ().

وذهب العلماء في معنى هذا المثل مذاهب: فمنهم من قال: أريد به ذم، وقال غيرهم أريد به المدح، وذهب آخرون إلى

التفصيل.

فمن قال بالذم، رأى أنه يصرف الحق إلى صورة الباطل، والباطل إلى صورة الحق كالسحر الذي يقلب الأعيان، والسحر مذمومٌ مُحَرَّمٌ، فيكتسب بكلامهم الإثم ما يكتسبه السّاحر، وقد استدلوا بسياق الحديث، وأن سببه يشهد لهذا الرأي، فترى الإمام مالك رحمه الله يورد هذا الحديث تحت باب سَمَاه (باب ما يكره من الكلام) ()، وقال الإمام ابن عبد البر رحمه الله في شرح هذا الحديث: « واخْتَلَفَ فِي الْمَعْنَى الْمُقْصُودِ إِلَيْهِ بِهَذَا الْخَبَرِ فَقِيلَ قَصَدَ بِهِ إِلَى دَمِّ الْبَلَاغَةِ إِذْ شَبَّهَتْ بِالسِّحْرِ وَالسِّحْرُ مُحَرَّمٌ مَذْمُومٌ وَذَلِكَ لِمَا فِيهَا مِنْ تَصْوِيرِ الْبَاطِلِ فِي صُورَةِ الْحَقِّ وَالتَّقْيَهُوقِ وَالتَّشْدُقِ وَقَدْ جَاءَ فِي التَّرْتَارِينَ الْمُتَقَيِّهِينَ مَا جَاءَ مِنَ الدَّمِّ وَإِلَى هَذَا الْمَعْنَى ذَهَبَ طَائِفَةٌ مِنْ أَصْحَابِ مَالِكٍ وَاسْتَدَلُّوا عَلَى ذَلِكَ بِإِدْخَالِ مَالِكٍ لَهُ فِي مُوْطِنِهِ فِي بَابِ مَا يُكْرَهُ مِنَ الْكَلَامِ، وَأَبَى جُمْهُورُ أَهْلِ الْأَدَبِ وَالْعِلْمِ بِلِسَانِ الْعَرَبِ إِلَّا أَنْ يَجْعَلُوا قَوْلَهُ عَ إِنَّ مِنَ النَّبِيَّانِ لِسِحْرًا مَذْمُومًا وَتَنَاءً وَتَقْضِيلاً لِلنَّبِيَّانِ وَإِطْرَاءً وَهُوَ الَّذِي تَدُلُّ عَلَيْهِ سِيَاقَةُ الْخَبَرِ وَلَفْظُهُ» ().

وقال ابن حجر رحمه الله: « قَوْلُهُ إِنْ مِنَ النَّبِيَّانِ لِسِحْرًا أَي مِنْهُ مَا يَصْرِفُ قُلُوبَ السَّامِعِينَ وَإِنْ كَانَ غَيْرَ حَقٍّ وَكَذَلِكَ السِّحْرُ فَإِنْ أُرِيدَ بِالْحَدِيثِ الْمُدْحُ فَالْمَعْنَى أَنَّهُ يَسْتَمَالُ بِهِ الْقُلُوبُ وَيَرْضَى بِهِ السَّاحِطُ وَيُسْتَنْزَلُ بِهِ الصَّعْبُ وَإِنْ أُرِيدَ بِهِ الدَّمُّ فَالْمَعْنَى أَنَّهُ يَكْتَسِبُ بِهِ مِنَ الْإِثْمِ مَا يَكْتَسِبُهُ السَّاحِرُ» ().

وأما من ذهب إلى أنه في سياق المدح فرأى أنه شبهه بالسحر لصرف القلوب به، ويرضى به السائح، ومنه قالوا: السحر الحلال، قال الجاحظ: «قال عمر بن عبد العزيز لرجل أحسن في طلب حاجة وتأتى لها بكلام وجيز، ومنطق حسن: هذا والله السحر الحلال» ().

وقال أبو هلال العسكري رحمه الله مشدداً على أنه للمدح: « الصَّحِيحُ أَنَّهُ مَدْحُهُ وَتَسْمِيَتُهُ إِيَّاهُ سِحْرًا إِنَّمَا هُوَ عَلَى جِهَةِ التَّعْجُوبِ مِنْهُ لِأَنَّهُ لَمَّا دَمَّ عَمُرُو الزَّبْرَقَانَ وَمَدْحُهُ فِي خَالٍ وَاجِدَةٌ وَصَدَقَ فِي مَدْحِهِ وَذَمِّهِ فِيمَا ذَكَرَ عَجَبَ النَّبِيِّ عَمَّنْ ذَلِكَ كَمَا يَعْجَبُ مِنَ السِّحْرِ فَسَمَّاهُ سِحْرًا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ» ().

قال ابن رشيقي القيرواني وهو يفصل في هذا الحديث: « فقرن البيان بالسحر فصاحته منه ع، ...؛ لأن السحر يخيل للإنسان ما لم يكن للطافته وحيلة صاحبه وكذلك البيان يتصور فيه الحق بصورة الباطل، والباطل بصورة الحق؛ لرقعة معناه، ولطف موقعه، وأبلغ البيانين عند العلماء الشعر بلا مدافعة» ().

قال الإمام الرازي رحمه الله: « سَمَى النَّبِيُّ عَ بَعْضَ النَّبِيَّانِ سِحْرًا لِأَنَّ صَاحِبَهُ يُؤْصِحُ الشَّيْءَ الْمُشْكِلَ وَيَكْشِفُ عَنْ حَقِيقَتِهِ بِحُسْنِ بَيَانِهِ وَيَبْلِغُ عِبَارَتَهُ» ().

وقال الراجزي: « فالبيان الفني هو الوسيلة لحمل الوجود وبعثته في مواضع غير مواضعه، وخلقته خلقاً آخر في النفس الإنسانية؛ وبذلك يؤول قوله ع: "إن من البيان لسحراً". جعل نوعاً من البيان هو السحر، لا البيان كله، ... كأنه قال: إن من البيان فناً هو سحر من عمل النفس في اللغة تغيير به الأشياء، وله عجب السحر وتأثيره وتصرفه؛ وهذا معنى لم ينتبه إليه أحد، ولا يذكر معه كل ما قالوه في تفسير الحديث، وبذلك التأويل يكون هذا الحديث قد احتوى أسمى حقيقة فلسفية للفن» ().

ومن توسط في الأمر رأى أنه يحتمل الأمرين، مستدلاً بمجيء (من) التبعية، وأن الله سبحانه وتعالى ذكر البيان من النعم التي وهبها لعباده، قال ابن الملقن رحمه الله: «وأحسن ما يقال في ذلك: أن هذا الحديث ليس بدم للبيان كله ولا بمدح للبيان كله، ألا ترى قوله: ("إن من البيان لسحراً") ومن للتبعض، ... وكيف يذم البيان كله وقد عدد الله به النعمة على عباده فقال: {خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ} [الرحمن: 3، 4] ولا يجوز أن يعدد على عباده إلا ما فيه عظيم النعمة عليهم، وما ينبغي إدامة شكره عليه، فإذا ثبت أن بعض البيان هو المذموم، وهو الذي خرج عليه لفظ الحديث، وذلك الاحتجاج للشئ الواحد مرة بالفضل ومرة بالنقص، وتزيينه مرة وعييه أخرى، ثبت أن ما جاء به من البيان مزيئاً الحق ومبيناً له فهو ممدوح، وهو الذي قال فيه عمر بن عبد العزيز: هذا السحر الحلال، ومعنى ذلك أنه يعمل في استمالة النفوس ما يعمل السحر من استهوائها، فهو سحر على معنى التشبيه لا أنه السحر الذي هو الباطل الحرام» ().

وقد وظف الشهاب هذا المثل مع النصوص القرآنية بقول في كل مرة يذكره وهو: "المراد بالسحرة البلغاء" ()، وفي سورة اخرى ذكر " هم البلغاء الواصلون اعلى مراتب البلاغة" ()

وورد ذكر المثل عند الشهاب في تفسيره قوله تعالى: {رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا} ()، إذ قال " وسميت السحرة بطلّة جمع باطل لانهم اكهم في الباطل أو لبطلتهم عن أمر الدين ...، وقيل: لن يستطيعها إذا قرئت فإنها تهزمهم وتبطل سحرهم وشرهم وقيل: إنها من المعجزات التي لا تقدر السحرة على معارضتها كغيرها من المعجزات المحسوسة، وقيل: المراد بالسحرة البلغاء كما في قوله (ع): إن من البيان لسحرا" () .

ثانياً: "أنا جُذيلُها المُحكِّكُ، وَغُذِيُها المُرجَّبُ": ()

وهذا من أمثال العرب، وأول من أطلقه هو الخُباب بن المنذر بن الجُموح الأنصاري، قاله يوم السَّقِيفَة عند بَيْعَة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، جاء في صحيح البخاري في حديث طويل، تقتصر فيه على موضع الشاهد: «... قَالَ قَائِلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ: أَنَا جُذِيلُهَا الْمُحَكِّكُ، وَغُذِيُهَا الْمُرَجَّبُ، مِنَّا أَمِيرٌ، وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ، يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ...» () .

وقد نُصِّ في روايات أخرى أنه الخُباب بن المنذر، جاء في مسند الإمام أحمد: «قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: وَأَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ: أَنَّ الْأَدِيَّ قَالَ: أَنَا جُذِيلُهَا الْمُحَكِّكُ وَغُذِيُهَا الْمُرَجَّبُ: الْخُبابُ بْنُ الْمُنْذِرِ» ()

وقد أورد الشهاب هذا المثل لتفسير قوله تعالى: { مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون } ()، وأراد به الدلالة على ورود ألفاظ غريبة تحتاج إلى تفسير، أو إخراجها إلى منحنى بلاغي، قال الخفاجي: «باشتماله على ألفاظ نادرة لا تستعملها العامة كقوله أنا جذيلها المحكك، وغذيقها المرجب يضرب لمن له خبرة وتجربة والظاهر أنه ليس المراد بالغرابة ما ذكر ولذا لم يعرج عليه من بعده من الشراح ، وأنت إذا تتبعت الأمثال ، وجدت كثراً مخالفاً لما ذكره وليت شعري أي غرابية في قوله ، السرر أمانة وقوله السكوت أخو الرضا وأمثاله مما لا يحصى إذا عرفت هذا فأقول أنا استقصيت الأمثال فوجدتها ما بين تشبيه بلا شبهة كقولهم للظالم المتورع هو كالجزار فيهم يذكر الله ويذبح، أو استعارة رائعة تمثيلية أو غيرها نحو أنا جذيلها المحكك» () .

وسنذكر هنا مفردات هذا المثل، ثم تراكيبه، ثم معناه ودلالاته.

الجُذيلُ: تصغير (جذُل)، قال ابن فارس: «الْجِيمُ وَالذَّالُ وَاللَّامُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ أَصْلُ الشَّيْءِ الثَّابِتِ وَالْمُنْتَصِبِ. فَالْجُذُلُ أَصْلُ الشَّجَرَةِ. وَأَصْلُ كُلِّ شَيْءٍ جُذُلُهُ» () . وجاء في الصحاح: «الجذُلُ، واحد الأجدال، وهي أصول الحطب العظام» () .
المُحكِّكُ: «حككت الشيء أحكه... والجذُلُ المُحكِّكُ: الذي يُنصَّبُ في العطن لتحتك به الإبل الجري» () . وقال الزمخشري: «والمحكك: الذي كثر به الاحتكاك حتى صار مملسا» () .

الغُذِيُّ: تصغير (عذق)، «العذق: النخلة بحملها. وقال غيره: العذق: الكباسة وهي العنقود على النخلة أو عنقود العنب. والعذق من النبات: ذو الأغصان، وكلُّ عُصْنٍ له شعب» () .

المُرجَّبُ: قال ابن فارس: «الرَّاءُ وَالْجِيمُ وَالْبَاءُ أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى دَعْمِ شَيْءٍ بِشَيْءٍ وَتَقْوِيَتِهِ. مِنْ ذَلِكَ التَّرْجِيبُ، وَهُوَ أَنْ تُدْعَمَ الشَّجَرَةُ إِذَا كَثُرَ حَمْلُهَا، لِئَلَّا تَتَكَسَّرَ أَغْصَانُهَا... رَجِبْتُ الشَّيْءَ، أَي عَظَّمْتُهُ. كَأَنَّكَ جَعَلْتَهُ عُمْدَةً تُعْمِدُهُ لِأَمْرِكَ، يُقَالُ إِنَّهُ لَمَرْجَبٌ» () . وجاء في النهاية: «الرَّجْبِيُّ: هُوَ أَنْ تُعْمَدَ النُّخْلَةُ الْكَرِيمَةُ بِنِوَاءٍ مِنْ جِوَارَةٍ أَوْ حَسَبٍ إِذَا خِيفَ عَلَيْهَا لِطَوْلِهَا وَكَثْرَةِ حَمْلِهَا أَنْ تَفْعَ. وَرَجِبْتُهَا فَهِيَ مَرْجَبَةٌ. وَالغُذِيُّ: تَصْغِيرُ الْعَذْقِ بِالْفَتْحِ، وَهِيَ النُّخْلَةُ، وَهُوَ تَصْغِيرُ تَعْظِيمٍ، وَقَدْ يَكُونُ تَرْجِيبُهَا بِأَنْ يُجْعَلَ حَوْلَهَا شَوْكٌ لئَلَّا يُرْقَى إِلَيْهَا، وَمِنَ التَّرْجِيبِ أَنْ تُعْمَدَ بِحَسَبَةٍ ذَاتِ شُعْبَتَيْنِ. وَقِيلَ: أَرَادَ بِالتَّرْجِيبِ التَّعْظِيمَ. يُقَالُ رَجِبَ فُلَانٌ مَوْلَاهُ: أَي عَظَّمَهُ. وَمِنْهُ سُمِّيَ شَهْرٌ رَجِبٌ، لِأَنَّهُ كَانَ يُعْظَمُ» () .

والجُذيلُ المحكك: «والجاذلُ: المنتصب مكانه لا يبرح، شبيه بالجدل الذي يُنصَّبُ في المعاطن لتحتك به الإبل الجري» () .

الغديق المُرَجَّب: «يُرِيدُ أَنْ يُعَوَّلَ عَلَى رَأْيِهِ كَمَا تُعَوَّلُ النَّخْلَةُ عَلَى الرَّجْبَةِ الَّتِي عُمِدَتْ بِهَا» ().
وفي هذا المثل نجد أنه استعمل التصغير في القسم الأول من المثل (الجذيل)، وفي القسم الثاني (الغديق)، وهو لغة: التقليل. واصطلاحاً: تغيير مخصوص يأتي ببيانه. وله فوائد وعلامات وشروط وأبنية ().
والتصغير وسيلة من وسائل الإيجاز، والفائدة المرجوة منه: الدلالة على الوصف المقصود من القلة أو الحفارة أو القرب أو التهويل؛ باختصار ().

قال الدقيقي: «التصغير يدخل لمعنى التحقير ولمعنى التَّعْظِيمِ فَمَنْ التَّعْظِيمِ قَوْلَ الْعَزَبِ أَنَا سِرٌّ يَسِيرٌ هَذَا الْأَمْرُ أَي أَنَا أَعْلَمُ النَّاسَ بِهِ وَمِنْهُ قَوْلُ الْأَنْصَارِيِّ يَوْمَ السَّوِّفَةِ أَنَا جَذِيلُهَا الْمُحَكَّمُ وَعَذِيقُهَا الْمُرَجَّبُ أَي أَنَا أَعْلَمُ النَّاسَ بِهَا فَأَلْمُرَادُ مِنْ هَذَا التَّصْغِيرِ التَّعْظِيمُ لَا التَّحْقِيرُ» ().

وأعراض التصغير كثيرة، ترجع غالباً إلى التقليل والتحقيق، وأظهرها ():

- أ- تحقير ما يتوهم عظمه، كأسيد.
- ب- تصغير ما يتوهم كبره، كجبيل.
- ج- تقليل كمية ما يتوهم كثرته، كدريهمات.
- د- تقليل جسم الشيء ذاته؛ كوليده، وطفيل.
- هـ- تقريب ما يتوهم بعد زمنه أو محله أو قدره؛ كقبيل العصر، وبعيد العشاء، وفوق الفرسخ أو دوينه، وأصغير من ذلك.

ومنها عند بعضه: التحبب والتدليل، نحو: يا بني، ويا أخي، والترحم نحو: يا مسيكين، والتعظيم والتهويل عند الكوفيين. وفي هذا المثل خرج التصغير إلى التعظيم، «أَنَا جَذِيلُهَا الْمُحَكَّمُ» هُوَ تَصْغِيرٌ جَذَلٌ، وَهُوَ الْعُودُ الَّذِي يُنْصَبُ لِلْإِبْلِ الْجَزْبِيِّ لِتَحْنُكِهِ بِهِ، وَهُوَ تَصْغِيرٌ تَعْظِيمٌ» ().

ومعنى هذا المثل ودلالته: يضرب هذا المثل للمستشفى برأيه، قال ابن سيده: «فَأَمَّا قَوْلُ الْقَائِلِ أَنَا جَذِيلُهَا الْمُحَكَّمُ، فَمَعْنَاهُ أَنَّهُ مَثَلٌ نَفْسُهُ بِالْجَذَلِ وَهُوَ أَصْلُ الشَّجَرَةِ وَذَلِكَ أَنَّ الْجَرْبَةَ مِنَ الْإِبْلِ تَحْنُكُ إِلَى الْجَذَلِ فَتَنْشَفِي بِهِ فَعَنَى أَنَّهُ يُتَشَفَى بِرَأْيِهِ كَمَا تَنْشَفِي الْإِبِلُ بِهَذَا الْجَذَلِ الَّذِي تَحْنُكُ إِلَيْهِ، أَبُو عبيد، إِنِّي لِأَجْدُ فِي رَأْسِي صَوْرَةَ أَي شِبْهِ الْجَكَّةِ حَتَّى يَشْتَهِيَ أَنْ يُفْلَى، وَقَالَ: صَنَّبَ رَأْسَهُ كَثْرَ فِيهِ الصَّنْبَانُ» ().

وذهب الأزهرى رحمه الله إلى رأي مُحَبَّبٍ لَهُ فِي هَذَا الْمَثَلِ، فَقَالَ: «قُلْتُ وَفِيهِ مَعْنَى آخَرَ أَحَبُّ إِلَيَّ، أَرَادَ أَنَّهُ مَنْجَذٌ مَجْرَسٌ قَدْ جَرَّبَ الْأُمُورَ وَعَرَفَهَا وَجَرَّبَ، فَوَجَدَ صُلْبَ الْمَكْسِرِ غَيْرَ رَخْوٍ، ثَبَّتَ الْعَدْرَ لَا يَفْرُغُ عَنْ قِرْنِهِ. وَقِيلَ مَعْنَى قَوْلِهِ: أَنَا جَذِيلُهَا الْمُحَكَّمُ أَنَّهُ يُرِيدُ: أَنَا دُونَ الْأَنْصَارِ جَذَلٌ جَكَكَ لِمَنْ عَادَاهُمْ وَنَاوَاهُمْ، فَبِي ثَقْرَنَ الصَّعْبَةَ. وَيَقُولُ الرَّجُلُ لِصَاحِبِهِ: أَجْذَلُ لِلْقَوْمِ أَي انْتَصَبَ لَهُمْ وَكُنْ مَخَاصِمًا مُقَاتِلًا وَالْعَرَبُ تَقُولُ: فَلَانَ جَذَلٌ جَكَكَ حَشَعْتَ عَنْهُ الْأَبْنَ، يَعْنُونَ أَنَّهُ مَنْفَحٌ لَا يُرْمَى بِشَيْءٍ إِلَّا زَلَّ عَنْهُ وَنَبَا» ().

وقال الزمخشري: «وَالْمَعْنَى: إِنِّي دُونَ رَأْيِي يَسْتَشْفَى بِالِاسْتِضَاءَةِ بِهِ كَثِيرًا فِي مِثْلِ هَذِهِ الْحَادِثَةِ وَأَنَا فِي كَثْرَةِ التَّجَارِبِ وَالْعِلْمِ بِمَوَارِدِ الْأَحْوَالِ فِيهَا وَفِي أَمْثَالِهَا وَمَصَادِرِهَا كَالنَّخْلَةِ الْكَثِيرَةِ الْحَمَلِ ثُمَّ رَمَى بِالرَّأْيِ الصَّائِبِ عِنْدَهُ» ().

وفي شرحه لهذا المثل: يذكر ابن الأثير رحمه الله: «أَنَا مَمَّنْ يُسْتَشْفَى بِرَأْيِهِ كَمَا تَسْتَشْفَى الْإِبِلُ الْجَزْبِيُّ بِالِاخْتِكَافِ بِهَذَا الْعُودِ» ().

أما وظيفة المثل في تفسير هذه الآية، فهي أن المثل أشتمل على ألفاظ غريبة ونادرة لغرابية حالهم فإن حالهم عجيبة الشأن كحال من (أستوقد ناراً) ماذا حدث بعدها فلما حدث فرط في الإنارة وهو الضياء (ذهب الله بنورهم)، وقوله: "لها شأن وفيها غرابية إشارة إلى العلاقة بينهما، وهو الاشتراك في الغرابية وعظم الشأن" (). أما التوظيف الثاني هو دلالة

المثل على التحقير والتعظيم وهذا نجده في الآية الكريمة وقد ذكره الشهاب إذ قال: "تنكير النار للتعظيم" ()، "وأستوفد ناراً للتحقير" () .

ثالثاً: "انصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا": ()

أورد الشهاب رحمه الله هذا المثل في حاشيته تفسيراً لقوله تعالى: {وقال الله إني معكم لئن أقمتم الصلاة وءاتيتم الزكاة وأمنتم برسلي وعزرتهم} ()، وهو من الأمثال السائرة، وإن كان معناه ليس كما يتبادر إلى الذهن أول مرة، وأول وروده عن النبي ع، جاء في صحيح البخاري عن أنس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ع: «انصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا»، قالوا: يا رسول الله، هذا ننصُرُهُ مَظْلُومًا، فكيف ننصُرُهُ ظَالِمًا؟ قال: «تَأْخُذُ فَوْقَ يَدَيْهِ» () .

وفي رواية أخرى للبخاري أيضا: عن أنس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ع: «انصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا» فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنْصُرُهُ إِذَا كَانَ مَظْلُومًا، أَفَرَأَيْتَ إِذَا كَانَ ظَالِمًا كَيْفَ أَنْصُرُهُ؟ قَالَ: «تَحْجُرُهُ، أَوْ تَمْنَعُهُ، مِنَ الظُّلْمِ فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ» () .

وذهب بعضهم إلى أن أصل هذا المثل لـ(جندب بن العنبر بن عمرو بن تميم)، قال المفضل الضبي، وروى قصته: «أول من قال ذلك جندب بن العنبر بن عمرو بن تميم. وكان رجلاً دميماً فاحشاً، وكان شجاعاً. وأنه جلس وسعد بن زيد مائة يشربان، فلما أخذ الشراب فيهما قال جندب لسعد وهو يمازحه: ياسعد، شربُ لبِن اللقاح، وطول النكاح، أحب إليك من الكفاح، ودعس الرماح، وركض الوقاح. قال سعد: والله إني لأعملُ لعمال وأنحر البازل، وأسكت القائل. قال جندب: إنك لتعم أنك لو فرغت دعوتني عجباً، وما ابتغيت لي بدلاً. ولرايتني بطلاً. فغضب سعد وأنشأ يقول: هل يسودُ الفتى إذا فَبَحَ الوَجْـهـُ وأمسى قراه غَيْرَ عَتِيدِ

وإذا النَّسُ في النَّدْيِ رَأَوْهُ = ناطقاً قال قول غير سديد

فأجابه جندب:

لَيْسَ رَيْنُ الفَتَى الجَمَالُ ولكن ... زَيْنُهُ الضَّرْبُ بالحسام التلديد إن يجذك الفتى فذاك وإلا ... رُبَمَا صَنَّ باليسير العتيد قال سعد، وكان عانفاً: أما والذي أحلفُ به لتأسرُكُ طَعِينَةٌ، بين القرية والرقينة، ولقد أخبرني طيري، أنه لا يُغيبك غيري. وتفترقا على ذلك" ()، وفعلاً حدث ماتوقه سعد ووقع جندب في مأزق مع أمة من بني تميم، "فقبضت على يديه بيد واحدة فلم يقدر على أن يتحرك، ثم كفتته بعنان فرسه وراحت به مع غنمها تحدو به" ()، وأستغاث جندب بسعد إذ قال:

يا أَيُّهَا المَرْءُ الكَرِيمُ المَشْكُومُ ... انصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا

فأقبل عليه سعد فأطلقه فأقبل عليه سعد فأطلقه. وقال: لولا أن يُقال قتل امرأة لقتلتك. فقالت كلاً لم يكن ليكذب طيرك، ويصدق غيرك. قال: صدقت" () .

والنصرة عند العرب: الإعانة والتأييد، جاء في لسان العرب: «النصر: إعانة المظلوم؛ نصره على عدوه ينصره ونصره ينصره نصراً، ورَجُلٌ ناصِرٌ مِنْ قَوْمٍ نُصَّارٌ وَنَصْرٌ مِثْلُ صَاحِبٍ وَصَحْبٍ وَأَنْصَارٌ» () . إلا أن التباين واضح بين القولين ففي قول (جندب) حثُّ على الأخلاق الجاهلية، والعشائرية البغيضة التي ينصر فيها المرء أخاه أو ابن عمه أو قريبه إن كان مظلوماً، وإن كان ظالماً، قال الميداني رحمه الله: «أما الحديث فهكذا، وأما العرب فكان مذهبا في المثل نصرته على كل حال» () .

وقد نهى الإسلام عن الظلم، ونصرة الظالم، قال تعالى: {إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ}، وقال أيضا: {وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ}، وقال ع: «إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا ظَالِمًا، فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَوْشَكَ أَنْ يَعْمَهُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ مِنْهُ» () .

أما ما قاله النبي ع فقد فسره عندما سُئل، فقد استغرب الصحابة رضوان الله عنهم النصر للظالم، ففسرها ع بأنه حجزه عن الظلم، وفي هذا الحديث: من وجيز البلاغة، ومعناه: أن الظالم مظلوم في نفسه؛ لأنه ظلم نفسه بعدم ردعها

عن الظلم، فوجب نصره لذلك، قال الامام ابن بطال في شرحه لهذا الحديث: «فسره رسول الله أن نصر الظالم منعه من الظلم؛ لأنه إذا تركته على ظلمه ولم تكفه عنه أذاه ذلك إلى أن يقتص منه؛ فمنعك له مما يوجب عليه القصاص نصره، وهذا يدل من باب الحكم للشيء وتسميته بما يؤول إليه، وهو من عجيب الفصاحة، ووجيز البلاغة» ().

وقال الإمام ابن قرقول رحمه الله: «الحديث إن كان مظلوماً أعانته، وإن كان ظالماً كله ومنعه، أي: نصره على شيطانه الذي أغواه، ونفسه التي أمرته بالسوء» ().

وقال المظهري رحمه الله: «قوله: "فذلك نصرُك إياه"، (ذلك): إشارة إلى المنع؛ أي: منَعَكَ أخاك من أن يظلمَ أحدًا نصرُك إياه؛ لأنَّ النَّصْرَ دَفْعُ الضَّرَرِ عن أَحَدٍ، وإذا منعتَ أحدًا عن الظلم فقد دفعته عن الإثم الذي هو سببُ دخوله النار، فكأنك دفعتَ النارَ عنه، وأيُّ نُصْرَةٍ أكملُ مِنْ دَفْعِكَ النارَ عن أخيك» ().

والإخوة في الدين رابطة متينة؛ وعلاقة وثيقة؛ وهي توجب على المرء السعي في خير أخيه؛ بشتى أنواع المساعدة، ومنها: المساعدة على الخير وفعله، والمنع من الشر وفعله إن أراده أو سلك طريقه، قال الإمام الشوكاني رحمه الله: «وَلَيْسَ الْمُرَادُ بِهَذِهِ الْأُخُوَّةِ إِلَّا أُخُوَّةُ الْإِسْلَامِ، فَإِنَّ كُلَّ اتِّفَاقٍ بَيْنَ شَيْئَيْنِ يُطْلَقُ بَيْنَهُمَا اسْمُ الْأُخُوَّةِ، وَيَشْتَرِكُ فِي ذَلِكَ الْحُرُّ وَالْعَبْدُ، وَيَبْرُؤُ الْحَالِفُ إِذَا حَلَفَ أَنَّ هَذَا الْمُسْلِمَ أَخُوهُ، وَلَا سِيَّمًا إِذَا كَانَ فِي ذَلِكَ قُرْبَةً كَمَا فِي حَدِيثِ الْبَابِ، وَلِهَذَا اسْتَحْسَنَ ذَلِكَ - ع - مِنْ الْحَالِفِ وَقَالَ: «أَنْتَ كُنْتَ أَبْرَهُمْ وَأَصْدَقَهُمْ» وَلِهَذَا قِيلَ: إِنَّ فِي الْمَعَارِيضِ لَمُنْدُوحَةً» ().

ومن طريف القول ما ذكره الشيخ حبنكة الميداني إذ قال «فنبه الرسول ع في هذه الأقوال على أفكار طريفة قلما يبتنيه لها الذهن العادي، وقلما تحظر على البال، لا سيما ماجاء في بيان نصر الظالم، فمن المثير للاستغراب دعوة الرسول ع إلى نُصْرَةِ إخواننا الظالمين، لكن من المريح والمثير للإعجاب تفسير ذلك بَحَجْزِهِمْ عن الظلم، وكَوْنِهِمْ عن ممارسته والقيام به، لنلا يوقعهم في المهالك» ().

وقد وظف الشهاب هذا المثل لتفسير الآية، في لفظة (عزرتهم)، عزره أزره ونصره، فقد أورده الخليل في معجمه إذ قال: " والتعزير: النصر ()، وعزر بمعنى أصلح وهذب، وهذا ما ورد عند الهروي البغدادي إذ قال "أصل التعزير هو التأييد" ()، والمنع كما ذكره ابن دريد إذ قال: "عزَّزته أعزَّره عزراً، إذا منعه عن الشيء" (). وأغلب هذه المعاني أوردها الشهاب عند تفسيره للآية إذ قال: "أصل معنى التعزير المنع وقيل أصله التقوية من العزر وهو الأزر، ثم تجوز به عن النصر لما فيها من ذلك وعن التأديب، وهو رادع ومانع عن ارتكاب القبيح، ولذا سمي في الحديث نصره في قوله (ع) (انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً)، ونصرة الظالم تأديبه كما بينه النبي ع" ().

رابعاً: "هُمَا كَفَرَسِي رَهَانٍ" ()

أورد الشهاب رحمه الله هذا المثل تفسيراً لقوله تعالى: {وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله} (وهذا من الأمثال السائرة أيضاً، ويضرب هذا المثل للمتسابقين إلى فعل الخير، وهو في الخير خاصة، فهذان الاثنان يسعيان إلى غاية في الخير، يستبقان فيستويان.

قال الميداني: «يضرب للثنتين إلى غاية يستبقان فيستويان، وهذا التشبيه يقع في الأبتداء، لا في الأنتهاء؛ لأن النهاية تُجَلَّى عن سَبَقِ أَحدهما لآ محالة» ().

وقال الزمخشري: «كفرسي رهان يضرب للمتساويين في الفضل» ().

وقد ورد التمثيل بهذا المثل في السنة النبوية، إذ ورد أنه ع قال منبهاً على اقتراب الساعة، والاستعداد لها: «مَثَلِي وَمَثَلُ السَّاعَةِ كَمَثَلِ فَرَسِي رَهَانٍ» ().

والتنافس في فعل الخير ممّا حث عليه الإسلام، فنجد كثيراً من الآيات القرآنية الكريمة التي تدعو إلى المسارعة في فعل الخير، قال تعالى: {وَلِكُلِّ وُجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيُهَا فَاسْتَثَبُّوا الْحَيْرَاتِ} [سورة البقرة: آية 148]، قال الإمام القرطبي رحمه

الله في تفسير هذه الآية: «قوله تعالى: "اسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ" أَي إِلَى الْخَيْرَاتِ، فَحَدَّثَ الْحَرْفَ، أَي بَادِرُوا مَا أَمَرَكُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ اسْتِيفَالِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ، وَإِنْ كَانَ يَتَضَمَّنُ الْحَتَّ عَلَى الْمُبَادَرَةِ وَالِاسْتِعْجَالَ إِلَى جَمِيعِ الطَّاعَاتِ بِالْعُمُومِ، فَأَلْمَرَادُ مَا دُكِرَ مِنَ الْاسْتِيفَالِ لِسِيَاقِ الْآيَةِ. وَالْمَعْنَى الْمُرَادُ الْمُبَادَرَةُ بِالصَّلَاةِ أَوَّلَ وَقْتِهَا، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ» ().

وكذلك حدث الله تعالى على المسابقة والتنافس إلى الجنة بفعل الخير، فقد وصف الله تعالى حال الأبرار في الجنة وما يتعمون به فحث عباده على التنافس إلى هذا المقام، قال تعالى: {إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ عَلَى الْأَرَائِكِ يُنظَرُونَ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَحْحُومٍ خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ} [المطففين : 22 ، 26]

وهذا هو الذي يتنافس فيه المتنافسون، النعيم الدائم، لا العرض الزائل، قال الإمام الرازي في تفسير هذه الآية: « أن مبالغة الله تعالى في الترغيب فيه تدل على علو شأنه ، وفيه إشارة إلى أن التنافس يجب أن يكون في مثل ذلك النعيم العظيم الدائم ، لا في النعيم الذي هو مكدور سريع الفناء» ().

وسبب توظيف الشهاب للمثل هو ماورد في كلام أبي جهل حين أتاه رجل يسأله عندما سمع رسول الله ع يتلو آيات التنزيل فتأثر بها، ف جاء أبا جهل الذي سمع كما سمع يسأله لم لا يؤمنوا بهذا الدين: «يَا أَبَا الْحَكَمِ، مَا رَأَيْكَ فِيمَا سَمِعْتَ مِنْ مُحَمَّدٍ؟ فَقَالَ: مَاذَا سَمِعْتُ، تَنَازَعْنَا نَحْنُ وَبُنُو عَبْدِ مَنَافٍ الشَّرَفَ، أَطْعَمُوا فَأَطْعَمْنَا، وَحَمَلُوا فَحَمَلْنَا، وَأَعْطُوا فَأَعْطَيْنَا، حَتَّى إِذَا تَجَادَيْتَنَا عَلَى الرَّكْبِ، وَكُنَّا كَفَرَسِي رَهَانٍ، قَالُوا: مِمَّا نَبِيٌّ يَأْتِيهِ الْوَحْيُ مِنَ السَّمَاءِ، فَمَتَى نُذْرِكَ مِثْلَ هَذِهِ، وَاللَّهِ لَا نُؤْمِنُ بِهِ أَبَدًا وَلَا نُصَدِّقُهُ» ().

وكذلك ورد في الشعر العربي، فقال ابن طباطبا:

كتاب حشوه شعر موسى = بألفاظ تسابقها المعاني ().

إذا أصغى لها سمع وفهم = حسبتهما معاً فرسي رهان . فلاحظ قول الشهاب : " مثل يضرب للتساوي" ().

خامساً: "إِكْلُ جَوَادِ كِبُوة": ()

أورد الشهاب رحمه الله هذا المثل تفسيراً لقوله تعالى: { إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها } ()، وهو من الأمثال العربية، ويضرب هذا المثلي المرء صاحب الذكاء وذي الهمة والنشاط، والذي يتميز بصفات جميلة في عمله وتعامله مع الآخرين، فيحدث معه عكس ما يتوقعه، وشبه الرجل هنا بالجواد لأصالته، فهذا ينم عن صلاحه وعلو شأنه وارتفاع درجته ومنزلته، وليس من شأنه ولا من عاداته أن يخطئ. ويشير المثل إلى أن الإنسان من طبيعته المزوجة بين الصواب والخطأ وأنه لا يسير على وتيرة واحدة، فهو لا يتصف بالصواب دوماً ولا بالخطأ دائماً.

والجواد هو الفرس السريع، قال ابن فارس: «وَالْجَوَادُ: الْفَرَسُ الدَّرْبِيُّ وَالسَّرِيْعُ، وَالْجَمْعُ جِيَادٌ» ().

والكبوة هي السقوط، قال ابن فارس: «الْكَافُ وَالْبَاءُ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُّ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى سُقُوطٍ وَتَزَيُّلٍ. يُقَالُ: كَبَا لَوْجِهِ يَكْبُو، وَهُوَ كَابٍ، إِذَا سَقَطَ» ().

وقيل إن أصل هذا المثل لابن القريّة، وأيوب بن زيد بن قيس بن زرارة الهلالي: أحد بلغاء الدهر. خطيب يضرب به المثل. يقال (أبلغ من ابن القريّة) والقريّة أمه.

ويروي العسكري لنا قصة هذا المثل إذ قال: «دخل ابن القريّة على الْحَجَّاجِ فَقَالَ يَا عَدُوَ اللَّهِ خَرَجْتَ عَلَيَّ مَعَ ابْنِ الْأَشْعَثِ قَالَ أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ كَيْفَ مَقَالَةَ الْأَسِيرِ الْمُقَهَّرِ الضَّرِيرِ الْمَغْلُولِ حَذَّ التَّعَسُّ جَدَّ لَيْسَ لَهُ مِنْ ظَالِمِهِ نَصِيرَ وَلَا فِي أَمْرِهِمْ شِيرَ وَلَا لَهُ مُجَا وَلَا عَشِيرَ إِنِّي لَمَّا وَصَفْتُكَ لَهُمْ بِالْعَلَاءِ وَخَصَصْتُكَ بِالْحَمْدِ وَالثَّنَاءِ شَدَدْتَ بِالْوَتَاقِ وَضَيْقَ عَلَيَّ الْخِنَاقِ وَتَلَأَلْتَ فَوْقِي السِّيَوفِ وَتَعَرَّضْتَ لِي الْحَتُوفِ فَإِن لَمْ يَجِدِ الْأَمِيرَ لِي عِذْرًا فَلِيحِلْ بِي عِقَابِهِ وَلِيَبْسُطَ عَلَيَّ عَذَابَهُ فَقَالَ كَذِبْتَ يَا بَنَ الْلِخْنَاءِ السَّفْنَجِ النُّوْكَاءِ بَلْ كَانَ قَلْبُكَ مَنَافِقًا وَلِسَانُكَ مَمَادِقًا وَأَرَدْتَ إِخْفَاءَ مَا اللَّهُ مَظْهَرَهُ مِنْ عَدْرِكَ وَإِسْرَارَ مَا اللَّهُ مَعْلَنَهُ مِنْ أَمْرِكُمْ قَالَ نَعَمْ السَّمِيرُ أَنْتَ يَا بَنَ الْقَرْيَةِ لَوْلَا تَصْدِيرُكَ الْكُتُبَ لَعَبَدَ الرَّحْمَنُ بِنَ الْأَشْعَثِ فَصَرَ إِلَى هُنْدَ فَأَبْلَغَهَا

عني طلاقها الكلمتين لا تزد عليهما وقد أمرت لك بمائة ألف دِرْهَم فصارَ إليها فقال إن الأمير يقول لك كنت فينت فقالت والله ما فرحنا به إذ كان ولا حزنا عليه إذ بان قال وقد أمر لك بمائة ألف دِرْهَم متاعاً قالت هي لك بشرى ثم أنصرف فقال له الحجاج أعد لي خطبة أخطب بها فأعدها قال وتقدمني إلى المسجد لتتظر ما يكون لي فيها، ولما انصرف قال كيف رأيته قال رأيته الأمير خطيباً مصقفاً قال لتخبرني قال رأيته الأمير يُشير باليد ويكثر بالرد ويستعين بأما بعد، قال ثم دعا بالنطع فقال ابن القزمية إن رأيته أن تأذن لي بكلمات أتكلم بهن يكن بعدي مثلاً قال هتهن قال أيها الأمير لكل جواد كبوة ولكل شجاع نبوة ولكل كريم هفوة ثم أنشأ يقول (أقلمي أقلمي لا عمدتك عترتي ... فكل جواد لا محالة يعثر) ().

وقد ورد معنى هذا المثل في حديث رسول الله ع، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ع: «لا خليم إلا ذو عثرة، ولا حكيم إلا ذو تجرية» ().

وإقالة العثرات من السنن النبوية الشريفة، فالإنسان بطبيعته غير معصوم من الخطأ، فهو يصيب ويخطئ، ويعلم ويجهل، ولم يعصم الله تعالى أحداً من الوقوع في الزلة والعثرة غير الأنبياء، فكل ابن آدم خطأ وخير الخطائين التوابون. وأمرنا بإقالة عثرات أهل الفضل والمروءة خاصة، فروي عن السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: أن رسول الله ع قال: «أقبلوا ذوي الهنات عثراتهم إلا الحدود» ().

ونجد تطبيقاً لإقالة العثرات في السنة النبوية في قصة الصحابي حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه، ففيها يظهر أن الإنسان غير معصوم من الخطأ، فلكل جواد كبوة، ويحسنا ع على إقالة عثرته، فانظر إلى قصته كما يرويها سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه إذ قال: «بعثني رسول الله ع أنا والرؤيبز، والمقداد بن الأسود، قال: «انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ، فإن بها طعينة، ومعها كتاب فخذوه منها»، فانطلقنا تعادى بنا خيلنا حتى انتهينا إلى الروضة، فإذا نحن بالطعينة، فقلنا أخرجي الكتاب، فقالت: ما معي من كتاب، فقلنا: نخرج الكتاب أو لنقوين النياب، فأخرجته من عقاصها، فأتينا به رسول الله ع، فإذا فيه من حاطب بن أبي بلتعة إلى أناس من المشركين من أهل مكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله ع، فقال رسول الله ع: «يا حاطب ما هذا؟»، قال: يا رسول الله، لا تعجل عليّ إني كنت امرأاً ملصقاً في قريش، ولم أكن من أنفسها، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون بها أهليهم وأموالهم، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم، أن أتخذ عندهم يداً يحمون بها قرابتي، وما فعلت كُفراً ولا ارتداداً، ولا رصاً بالكفر بعد الإسلام، فقال رسول الله ع: «لقد صدقكم»، قال عمر: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق، قال: «إنه قد شهد بدراً، وما يدريك لعن الله أن يكون قد أطلع على أهل بدرٍ فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم» ().

فهنا يعلمنا رسول الله ع أن لا ننسى الفضائل للناس، فمن زل غفر له إن كان ذا ماضٍ مشرف، وقد ورد هذا المعنى أيضاً في الشعر العربي، قال ابن نباتة ():

وإذا الحبيب أتى بذنب واحد جاءت محاسنه بألف شفيع

وعلى هذا الأساس وظف الشهاب المثل، أن لا ننسى فضائل الناس ونتجاوز عن أخطائهم، والمقصود في المثل هو الزمخشري خالف المفسرين في تفسير هذه الآية وأخطأ في رأيه، فالشهاب أراد إن يوضح، أن نتجاوز عن خطأ الزمخشري لفضله وعلمه إذ قال: "قوله في الانتصاف أن كلام الزمخشري يدل على أن التأويل إنما يحتاج إليه في الحديث دون الآية وهم يهرفه من عنده إنصاف لأن قوله وكذلك معنى قوله إن الله لا يستحي الخ ينادي خلافة، ولكن لكل جواد كبوة" ().

سادساً: "أولاد جفنة حول قبر أبيهم" ()

أورد الشهاب المثل لتفسير قوله تعالى { فلما أضاءت ما حوله } (). وهذا شطر بيت لحسان بن ثابت رضي الله عنه، تمامه ():

أولاد جفنة حوّل قبر أبيهم = قبر ابن مارية الكريم المُفضّل
من قصيدة على (البحر الكامل) مدح بها «آل جفنة» ملوك الشام قبل الإسلام، وأكثر مدائحه فيهم، مطلعها:
أسألت رَسْمَ الدَّارِ أُمَ لَمْ تَسْأَلِ = بَيْنَ الجوابي، فالْبُضَيْعِ، فحُوْمَلِ
جاء في لسان العرب: «أراد بقوله (عند قبر أبيهم) أنهم في مساكن آبائهم ورباعهم التي كانوا ورثوها عنهم» ().
وقال ابن رشيق القيرواني في عمدته: «يريد أنهم ملوك ذوو حاضرة ومستقر عز، ليسوا أصحاب رحلة وانتجاع» ().
وجعله ابن رشيق من باب التتبع، إذ قال: «ومن أنواع الإشارة: التتبع وقوم يسمونه التجاوز، وهو أن يريد الشاعر ذكر الشيء فيتجاوزه ويذكر ما يتبعه في الصفة وينوب عنه في الدلالة عليه» ().
فجعله من باب التتبع، فقال: «قوله "حول قبر أبيهم" تتبّع مليح، أشار به إلى أنهم ملوك مقيمون لا يخافون فينتقلون من مكان إلى مكان، وأنهم في مستقر عز وأرض خصبلا تجذب، أراد الشام، وأن ذلك دأبهم من القدم، فهم حول قبر أبيهم» ().
وقد كانت هذه القصيدة ممّا تحاكم فيها حسان والخنساء أمام النابغة، فقال: «إنك لشاعر وإن أخت بني سليم لباكاءة» ().
والشاهد في هذا البيت هو ذكر مارية، وهي: مارية بنت أرقم بن ثعلبة بن عمرو بن جفنة بن عوف بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو المعروف بمزيباء بن عامر. وكان لها قرطبان كان فيهما مائتا دينار. وقيل جوهر قوم بأربعين ألف دينار. وقيل كان فيهما درتان كبيضتي الحمامة لم ير الناس مثلهما. فأهدتهما إلى الكعبة، فضرب بهما المثل. وقيل: خذه ولو بقرطي مارية، أي على كل حال ().
أما وظيفة المثل في هذه الآية فهو تفسير لكلمة (حول)، وقد وردت لفظة حول عند ابن الأثير إذ قال: "وفي حديث الاستسقاء «اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا» () يُقَالُ رَأَيْتُ النَّاسَ حَوْلَهُ وَحَوَالِيَهُ: أَي مُطِيفِينَ بِهِ مِنْ حَوَالِيهِ، يُرِيدُ اللَّهُمَّ أَنْزِلِ الْغَيْثَ فِي مَوَاضِعِ النَّبَاتِ لَا فِي مَوَاضِعِ الْأَنْبِيَاءِ. " ().
وفي قوله تعالى: { فلما جاءها نودي أن بورك من في النار ومن حولها وسبحان الله رب العالمين } ()، فلما جاء موسى النار ناداه الله وأخبره أن هذا مكان قدسه الله وباركه فجعله موضعاً لتكليم موسى وإرساله، وأن الله بارك من في النار ومن حولها من الملائكة (). ونلاحظ قول ابن منظور: " (أولاد جفنه حول قبر أبيهم) أراد بقوله عند قبر أبيهم أنهم في مساكن آبائهم ورباعهم التي كانوا ورثوها عنهم" ()، (وأضاعت ماحوله) أي حول المستوقد، ولهذا السبب أورد الشهاب المثل إذ قال: "النار في جهة مما حوله ولا يلزم أن تكون في جميع جهاته كما لا يلزم في قولنا أشرق السراج في البيت كونه في جميعه إذ يكفي وقوعه في موضع ما منه ألا ترى إلى قوله تعالى { وممن حولكم من الأعراب } ()، ونحوه مما هو شائع في كلام العرب كقول حسان رضي الله عنه: أولاد جفنه حول قبر أبيهم" ().

"المبحث الثالث"

الصفات السلبية

هناك العديد من السلوكيات الخاطئة التي تنتشر في مجتمعنا والمجتمعات الأخرى كالغيبة والنميمة والحسد والكره وغيرها من الصفات السلبية السيئة التي تنهش بنية المجتمع وتؤدي إلى تفكيكه وانتشار الفوضى، لذلك حذرنا منها ديننا الحنيف وجعل عقوبة المتصف بها كبيرة جداً، والأمثال تطرقت بدورها إلى هذه المواضيع والتجأت إلى أسلوب التوجيه والوعظ لتقويم سلوك الفرد وتوجيهه نحو الأفضل، وتطرقت في هذا المبحث إلى الأمثال التي تحمل الصفات الإنسانية السلبية والتي ذكرها الشهاب في حاشيته ونبه على الابتعاد عنها وتجنبها، ومن بين هذه الصفات الإنسانية السلبية نذكر:

أولاً: "خَبَطُوا خَبْطَ عَشْوَاءٍ": ()

وقد ورد ذكر المثل عند الشهاب لتفسير قوله تعالى: {وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن} () وهو من أمثال العرب السائرة، وهذا المثل أصله من كلام زهير بن أبي سلمى في معلقته الشهيرة، فهو جزء من بيت قاله ():

رَأَيْتُ الْمَنَائِيَا خَبَطَ عَشْوَاءَ، مَنْ تَصَبَّ ثُمْتُهُ، وَمَنْ تُخْطِي يُعَمَّرُ فَيَهْرَمَ

خَبَطَ: قال ابن فارس: «الْحَاءُ وَالْبَاءُ وَالطَّاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى وَطْءٍ وَضَرْبٍ. يُقَالُ خَبَطَ الْبُعِيرُ الْأَرْضَ بِيَدِهِ: ضَرَبَهَا. وَيُقَالُ خَبَطَ الْوَرَقَ مِنَ الشَّجَرِ، وَذَلِكَ إِذَا ضَرَبَهُ لِيَسْقُطَ» ().

ومنه التَّخْبُطُ، وَهُوَ الاضْطِرَابُ.

فهذه فتحبط ببديها على عمى، فر بما تردت في مهواة، وربما وطنت سبعا أو حية، أو غير ذلك، فيشبه بها هذا الذي يمشي على غير هدى فر بما سقط في أخطائه.

وقد وردت بعض هذه الألفاظ في القرآن الكريم، من ذلك قوله تعالى: {وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ} [الزخرف: 36]، فهذا الذي يعرض عن القرآن ويتعمى عنه لفرط اشتغاله باللذات وانهماكه في الشهوات، يقع في شر أعماله، قال الواحدي في تفسيره: «ذكر المفسرون وأهل التأويل في هذه الآية قولين: أحدهما: أن المراد بقوله (يعش): يعم ويضعف بصره. والآخر: أن المعنى: ومن يعرض عن ذكر الرحمن... ومن يعم بصره عن ذكر الرحمن، يعني القرآن» ().

ومن ذلك الخبط، فقد وردت يتخبط في القرآن الكريم، من ذلك قوله تعالى: {الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَخْبِطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ} [البقرة: 276]، فقد ذم الله سبحانه وتعالى في هذه الآية آكلي الربا، وشبههم بالذي يتخبطه الشيطان من المس، «إنهم لا يقومون من قبورهم يوم القيامة إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس؛ يعني: كالمصروع الذي يتخبطه الشيطان؛ و «التخبط» هو الضرب العشوائي؛ فالشيطان يتسلط على ابن آدم تسلطاً عشوائياً، فيصرعه؛ فيقوم هولاء من قبورهم يوم القيامة كقيام المصروعين - والعياذ بالله - يشهدهم الناس كلهم، ... وقيل إنهم لا يقومون عند التعامل بالربا إلا كما يقوم المصروع؛ لأنهم - والعياذ بالله - لشدة شغفهم بالربا كأنما يتصرفون تصرف المتخبط الذي لا يشعر؛ لأنهم سكارى بحبة الربا، وسكارى بما يربحونه - وهم الخاسرون؛ فيكون القيام هنا في الدنيا؛ شبه تصرفاتهم العشوائية الجنونية المبنية على الربا العظيم - الذي يتضخم المال من أجل الربا - بالإنسان المصروع» ().

أما سبب توظيف الشهاب للمثل في هذه الآية، هو اختلاف توجيه القراءات فيها ، وقد وضح هذه القراءات واسبابها بشكل مفصل، فقد ذكر أن قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر (أن النفس بالنفس.... الخ) ينصبون ذلك كله ، ويرفعون ، الجروح قصاص ، وعاصم وحمزة ينصبون ذلك كله ، وقرأ ، الكسائي: العين وما عطف عليه بالرفع ، وقد وضح الشهاب حجة من رفع، بأنه يحتمل ثلاثة أوجه إذ قال : " قال أبو علي الفارسي: الوجه الأول، أن تكون الواو عاطفة جملة أسمية على جملة (أن النفس بالنفس) ، أما الوجه الثاني، حمل الكلام من حيث المعنى، لا من حيث اللفظ، أي (قلنا لهم النفس بالنفس) كتبنا بمعنى قلنا، كما أنه المعنى في قوله تعالى: {يطاف عليهم بكأس من معين} () ، أي يمنحون كأساً" (). ثم أحقه بقول الزمخشري، إذ قال: "وقال الزمخشري: الرفع للعطف على محل أن النفس ، لأن المعنى وكتبنا عليهم النفس بالنفس إما لإجراء كتبنا مجرى قلنا ، وإما لأن معنى الجملة التي هي النفس بالنفس مما يقع عليه الكتب كما تقع عليه القراءة أما سبب توظيف الشهاب للمثل في هذه الآية، هو اختلاف توجيه القراءات فيها ، وقد وضح هذه القراءات واسبابها بشكل مفصل، فقد ذكر أن قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر (أن النفس بالنفس.... الخ) ينصبون ذلك كله ، ويرفعون ، الجروح قصاص ، وعاصم وحمزة ينصبون ذلك كله ، وقرأ ، الكسائي: العين وما عطف عليه بالرفع ، وقد وضح الشهاب حجة من رفع، بأنه يحتمل ثلاثة أوجه إذ قال : " قال أبو علي الفارسي: الوجه الأول، أن تكون الواو عاطفة جملة أسمية على جملة (أن النفس بالنفس) ، أما الوجه الثاني، حمل الكلام من حيث المعنى، لا من حيث اللفظ، أي (قلنا لهم النفس

بالنفس) كتبنا بمعنى قلنا، كما أنه المعنى في قوله تعالى: {يطاف عليهم بكأس من معين} ()، أي يمنحون كأساً" () . ثم أحقه بقول الزمخشري، إذ قال: "وقال الزمخشري: الرفع للعطف على محل أن النفس ، لأن المعنى وكتبنا عليهم النفس بالنفس إما لإجراء كتبنا مجرى قلنا ، وإما لأن معنى الجملة التي هي النفس بالنفس مما يقع عليه الكتب كما تقع عليه القراءة تقول: (كتبته الحمد لله ، وقرأت سورة أنزلناها " () ، ثم يذكر الشهاب (النحرير) ووجدت في بعض الرسائل أن الشهاب حينما يطلق لقب النحرير ، أكثر من يقصد به سعد الدين التفتازاني وبحثت فيما توافر بين يدي من كتب التفتازاني، عن هذا التوجيه فلم أفهم عليه ولكن وقتت عليه عند الخليل بن أحمد الفراهيدي إذ قال: "وعلى هذا تقرأ هذه الآية في المائدة (إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون) رفع الصابئين على الابتداء ولم يعطف على ما قبله وكذلك قرؤوا (وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين) ثم قرؤوا (والجروح قصاص) ويقال إنه عطف على موضع إن لأن موضعها مبتدأ" () . ثم ذكر الشهاب رأيه في التوجيه إذ قال: " وعندي أن معنى كلامهم هنا ليس ما ذكره بل مرادهم أن كتب ينصب مفعولاً، وليس مما يعمل في الجمل فكيف صح أن يعطف على مفعوله جملة على قراءة الرفع، وكما دلت عليه قراءة النصب فوجهه بأنه أعمل في الجملة أما لتضمينه القول أو لأنه أعتبر فيه الحكاية لكونه بمعناه ، ولما كان الوجهان المذكوران في الكشف متقاربين جعلهما البيضاوي (رحمه الله)، قولاً واحداً فافهمه فإنه مما تفرد به كتابنا ، وأظنك لا تراه في غيره فإنهم خبطوا فيه (خبط عشواء)" () .

إن سبب ذكر المثل هو دلالة على اضطراب آراء النحويين والمفسرين في توجيه القراءات، فالمثل ذم لاضطرابهم في توجيه القراءات.

ثانياً: "لا تنه عن خلق وتأتي مثله" () .

ورد ذكر هذا المثل عند الشهاب لتفسير قوله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون} ()، وهذا من أمثالهم السائرة، ومعنى هذا المثل " إذا عبت أمراً فلا تأته فذو اللب مجتنب ما يعيب" () وهو شرط بيت، ولكي نكون على بينة فعلياً أن نقرأ هذه المقطوعة الشعرية الجميلة:

يا أيها الرجل المُعَلِّمُ غَيْرُهُ هَلَّا لِنَفْسِكَ كَانَ ذَا التَّعْلِيمِ
تَصِفُ الدَّوَاءَ لِذِي السَّقَامِ وَذِي الصَّنَى كَيْمَا يَصِخَّ بِهِ وَأَنْتَ سَقِيمٌ
أَبْدَأُ بِنَفْسِكَ فَانْهَيْهَا عَنْ غَيْبِهَا فَإِذَا انْتَهَتْ عَنْهُ فَأَنْتَ حَكِيمٌ
فَهَذَاكَ تُعَدِّرُ إِنْ وَعَظْتَ وَيُقْتَدَى بِالْقَوْلِ مِنْكَ وَيَحْصِلُ التَّسْلِيمِ
لَا تَنْهَ عَنْ خُلُقٍ وَتَأْتِي مِثْلُهُ عَارٌ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمٌ

وقد اختلف في نسبة هذه الأبيات فنسبت لأبي الأسود الدؤلي، وحسان بن ثابت، والطرماح، ولغيرهم () .

لقد أمرنا الله سبحانه وتعالى بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في آيات كثيرة، إلا أنه نهانا أن نفعل غير ما نقول، قال تعالى: {وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ} ، إلا أن النهي ورد في آيات أخرى عن الأمر بالمعروف وفعل غيره، من ذلك قوله تعالى: {اتَّأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ} ، فوبَّخ الله هؤلاء الذين يعملون عمليين: الأول الأمر بالشيء الصالح، والثاني أنهم نسوا أنفسهم فعملوا بخلاف ما أمروا، وقد نهى الله تعالى عن ذلك في آيات كثيرة، ومنها قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ} ، ومنه قوله تعالى إخباراً عن نبيه شعيب عليه السلام: {وَمَا أَرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ} ، أي اني لا أريد أن أنهاكم عن شيء ثم أرتكبه.

فهذا من الأمور التي لا تليق بالإنسان، ولا تشرفه، ولا ترقى به إلى مصاف الأشخاص الأسوياء.

وجاء النهي في هذا المثل الغرض منه التوبيخ، توبيخ الإنسان إذا كان ينهى عن خلق وإذا به يبادر أو يفعل ذلك الذي كان ينهى غيره عنه.

وورد في أمثال العرب ما يشابهه، من ذلك قولهم: (لَا تَعْطِينِي وَتَعْطُطِي) قال الميداني في شرحه: «أي: لا تُوصيني وأوصي نفسك، قال الجوهري: وهذا الحرف هكذا جاء عنهم فيما ذكره أبو عبي، وأنا أظنه "وَتَعْطُطِي" بضم التاء - أي لا يكن منك أمر بالصلاح وأن تفسدي أنت في نفسك» ().

وورد هذا المعنى في الشعر أيضا:

إِذَا عِبْتُ أَمْرًا فَلَا تَأْتِهِ فُدُو اللَّبِّ مُجْتَنِبٌ مَا يَعْيبُ

وسبب توظيف الشهاب للمثل ما في هذه الآية لو رجعنا الى تفسير الآية نجد ترابطاً وثيقاً بينهما نلاحظ تفسير الطبري "يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله، (لا تخونوا الله)، وخيانتهم الله ورسوله، كانت بإظهار من أظهر منهم لرسول الله ع والمؤمنين الإيمان في الظاهر والنصيحة، وهو يستسر الكفر والغش لهم في الباطن، يدلون المشركين على عورتهم، ويخبرونهم بما خفي عنهم من خبرهم" ()، وهذا ما أراد الشهاب تبيانه إذ قال: "لا تنه عن خلق وتأتي مثله، أي لا تجمعوا بين الخيانتين" ()، لأن ذلك خيانة للأمانة وهلاك للنفس .

ثالثاً: "قِيلَ لِلشَّحْمِ: أَيْنَ تَذْهَبُ؟ قَالَ: أَقْوَمُ الْمُعْوَجِّ" ()

ورد المثل عند الشهاب لتفسير الآية {وسع كرسية السموات والأرض} ()، يعني أن السمن يستر العيوب. وربما ضربته العرب للنم يستغني فيدخل ويعظم. ورواه الشهاب الخفاجي في طراز المجالس: «لو قيل للشحم: أين تذهب؟ لقال: أسوي المعوج. قال: وتصوير مقابلة الشحم محال، ولكن الغرض أن السمن في الحيوان مما يحسن قبحة، كما أن العَجَف مما يقبح حسنه" ().

وقد ورد هذا المثل في مجمع الأمثال للميداني، وقال عنه: «يعني أن السمن يستر العيوب. يضرب للنم يستغني فيجبل ويعظم» ().

ومن مدحهم للشحم قول حسان بن ثابت رضي الله عنه ():

وَإِنَّا لَنُقْرِي الضَّيْفَ إِذَا جَاءَ طَارِقًا = مِنَ الشَّحْمِ مَا أَمْسَى صَاحِبًا مُسَلِّمًا

والشحم هنا هو سنام البعير، قال البرقوقي في شرح هذا البيت: «يريد أنهم يعتبطون للضيف الإبل فينحرونها عن غير علة ولا مرض» ().

وكما ذكرنا فإن ستر العيوب هو المحور الرئيسي في هذا المثل، فربما يكون الإنسان خسيئاً فيجبل وتكون له مكانة بين الناس إما لمنصب، أو مال، قال الشاعر ():

رَأَيْتَ الْمَالَ يَسْتَرُ كُلَّ عَيْبٍ = وَلَا تَخْفَى مَعَ الْفَقْرِ الْعُيُوبُ

وربما تظهر عيوب بعض الناس لأنهم فقراء الحال، قال حسان بن ثابت رضي الله عنه أيضا ():

رَبِّ حِلْمٍ أَضَاعَهُ عَدَمُ الْمَالِ = لَ وَجْهٍ غَطَّى عَلَيْهِ النِّعِيمُ

فبين لنا حسان رضي الله عنه أن الحليم والعالم ربما استهان به الناس، وضاعت مهابته بينهم لفقر ذات يده، بينما في الجهة المقابلة نرى أن الجاهل غطى على عيوب الجهل عنه كثرة المال في يده، فلا يرى الناس منه إلا المال، وكما يروى عن الإمام الشافعي رحمه الله ():

وَعَيْنُ الرِّضَا عَنْ كُلِّ عَيْبٍ كَلِيلَةٌ = وَكَيْفَ عَيْنِ السُّخْطِ تُبْدِي الْمَسَاوِيَا

وقد ورد النهي في السنة النبوية الشريفة عن النظر إلى المظاهر الخداعة، وترك حقيقة الإنسان، جاء في صحيح البخاري: « قَالَ: مَرَّ رَجُلٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ع، فَقَالَ: «مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا؟» قَالُوا: حَرِيٌّ إِنْ حَطَبَ أَنْ يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ

أَنْ يُشْفَعُ، وَإِنْ قَالَ أَنْ يُسْتَمَعَ، قَالَ: ثُمَّ سَكَتَ، فَمَرَّ رَجُلٌ مِنْ فُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ، فَقَالَ: «مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا؟» قَالُوا: حَرِيٌّ إِنْ حَطَبَ أَنْ لَا يُنْجَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ لَا يُشْفَعَ، وَإِنْ قَالَ أَنْ لَا يُسْتَمَعَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ع: «هَذَا خَيْرٌ مِنْ مَلْءِ الْأَرْضِ مِثْلُ هَذَا» (). فربما يكون صاحب المال مستورا بهذه المظاهر الدنيوية، إلا أنه ليس ذا بال، فعلينا التنبيه لهذا. وقيل هذا وردت الآيات الكريمة تُنبه على أن أكرم الناس ليس صاحب المال، ولا صاحب الجاه، ولا ذا المنصب، وإنما هو التقى، قال تعالى: { إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ } ، قال الإمام القرطبي في تفسير هذه الآية: « فِي هَذِهِ الْآيَةِ مَا يُدَلُّكَ عَلَى أَنَّ التَّقْوَى هِيَ الْمُرَاعَى عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى وَعِنْدَ رَسُولِهِ دُونَ الْحَسَبِ وَالنَّسَبِ » ().

ونلاحظ ان سبب توظيف الشهاب للمثل في هذه الآية هو دلالة كلمة (الكرسي) فقد اختلف علماء التفسير في معناها فقال بعضهم : هو "علم، أي علمه وسع كل شيء" ()، وقال بعضهم: "الكرسي موضع القدمين" ()، وقيل: " هو موضع قدميه" ()، وقول آخر: "هو العرش نفسه" ()، وجميع هذه التفسيرات يفسرها كلام، ابن عاشور إذ قال: " وليس المراد في الآية حقيقة الكرسي إذ لا يليق بالله تعالى لاقتضائه التحيز ، فتعين أن يكون مراداً به غير حقيقته" ()، وكذلك قولهم المثل (لو قيل للشحم أين تذهب لقال أسوي المعوج) ، مقابلة الشحم شيء محال والمراد به غير حقيقته .

رابعاً: "مصائب قوم عند قوم:" ()

ورد ذكر المثل عند الشهاب لتفسير سورة الفاتحة ، وهذا من الأمثال الدائرة والسائرة، ونجد مصداقاً له في حياتنا اليومية، ومعناه أن الأمر قد يحل بإنسان فيكون عليه وبالاً، وفيه فائدة لإنسان آخر.

وأصل هذا المثل قول للمتنبى رحمه الله في بيت شعر يقول فيه (الطويل):

بذا قضت الأيام ما بين أهلها = مصائب قوم عند قوم فوائد

وهو من قصيدة رائعة له مطلعها:

خليلي إني لا أرى غير شاعر = فلم منهم الدعوى ومني القصائد

والمتنبى كثيراً ما نتعلم من قصائده الحكمة، فهو شاعر الحكمة.

والمتنبى وإن كان قائل هذا الشطر إلا أن المعنى سبق به، قال ابن الشجري: «أنشد بعض أهل الأدب لأخي الحارث بن حلزة:

ربما قررت عيون بشجى = مرمض قد سخنت منه عيون

وقال: من هذا البيت أخذ المتنبى قوله:

مصائب قوم عند قوم فوائد

قلت: إن كان الجاهلي أبا عذرة هذا المعنى، فلقد أحسن أبو الطيب أخذه، حيث أتى به في نصف بيت « () .

وقال ابن الإفيلي في شرحه لهذا البيت: «ثم قال، مخبراً عما وصفه من إحوال الروم على ما يستبشر به أهل هذا الجيش: بذا حكمت الأيام بين أهلها، وقضت على من صحبها بتصرفها، أن يكون سرور الغالبين في أسف المغلوبين، ومصائب المنكوبين فوائد عهد قوم آخرين. وهذا مثل سائر، والمثل من أرفع أبواب البديع» ().

وقصة هذه القصيدة أنها قيلت في سيف الدولة الحمداني وقد مدحه المتنبى بعد نصره في أحد الحروب، قال المعري شارحاً هذا المعنى: «يقول: هكذا حكم الأيام فيما بين الناس. أن يجعل مصيبة قوم فائدة لقوم؛ لأن هذه السبايا لنا فوائد، وعلى أهلها مصائب» ().

وقد ورد هذا المعنى في الشعر العربي أيضاً، من ذلك قول أبي العتاهية:

مؤت بعض الناس في الأرز = ض على بعض فئوخ

وقلما يسلم الإنسان من مصيبة تصيبه، وعلى الإنسان أن يستفيد من تجارب غيره، وفائدة الإنسان المسلم هي في العبرة والاتعاظ.

سبب توظيف الشهاب للمثل هو أراد أن يوضح دلالة (الحمد لله) ، أن الحمد لله رب العالمين ، هذه الآية سياقها العام أنه محمود ويحمد لا لكونه مالك يوم الدين فقط فالحمد مطلق غير مقيد ، فيجوز أن يحمد على غير مافي هذا اليوم ، لكونه رب العالمين لم يختص برحمته وعطائه للمؤمنين فقط وإنما عم عطائه المؤمنين وغيرهم من الكافرين ، هم خلق لله رب العالمين ، رب الجميع ، وقد وعد الحامدين يجازيهم على حمدهم وينالون استحقاقهم، فرحمته وعطائه لكل فائدة عمت للجميع () . وهذا ما ورد عند الشهاب إذ قال: " أي اختصاص الحمد بالله وعدم قبول مالكية يوم الدين واختصاص الحمد لاختصاص المحمود به أن اختصاص الأمور في يوم الدين لا يوجب اختصاص الحمد لجواز أن يحمد على غير مافي هذا اليوم ووعد الحامدين يقتضي استحقاق الحمد وينبه على لزومه، وعبر بالتضمين لما فيه من زيادة الوعيد مع أنه وعد للمؤمنين أيضاً كما قيل: (مصائب قوم عند قوم فوائد) () .

خامساً: "تقلدها طوق الحمامة" ()

ورد المثل عند الشهاب لتفسير قوله تعالى { سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة } () ، وهذا من أمثلتهم، ويضرب لمن تلازمه خصلة لا تفارقه.

قال الزمخشري في شرحه لهذا المثل: «أي تقلد النعمة تقلداً لازماً باقياً» () .

وذهب الميداني إلى أنها في الخصلة القبيحة، فقال: «الهاء كناية عن الخصلة القبيحة، أي: تقلدها تقلد طوق الحمامة، أي لا تزياله ولا تفارقه حتى يفارق طوق الحمامة» () .

ومن ذلك قوله تعالى: { وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْرَمْنَا طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ } .

قال الملا علي القاري في تفسير هذه الآية: «حَصَّ الْعُنُقَ لِأَنَّهُ مُؤْضِعُ الْقِلَادَةِ وَالْأَطْوَاقِ. قُلْتُ: وَهُوَ كِنَايَةٌ عَنِ الدِّمَةِ، لِأَنَّ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ فِي دِمَّتِهِ أَنْ يَفْعَلَهَا، وَلَا يَقْدِرُ أَنْ يَنْفَكَّ عَنْهَا» () .

فالخصلة القبيحة تكون علامة ملازمة للإنسان أينما كان، فيُعرف بها، وتطلق عليه، وكل إنسان جُبل على عدد من الأخلاق تسير معه في حياته، ولكن ليس كل واحد يُطلق عليه صفة إلا إذا كانت هذه الصفة طاغية على صفاته الباقية، فيعرف بها.

ومن ذلك: الكذب، فلا يقال لأي أحد كاذب، إلا إذا صار الكذب سجية له، والصادق، ولا يطلق على أحد اسم الصادق إلا إذا كان الصدق ملازماً له، ومنها أن رسول الله ع أطلق عليه (الصادق الأمين) وذلك لأن هذه الصفات كانت ملازمة له، فهو الصادق المصدوق، والأمين المؤمن على خبر الأرض والسماء.

وجاءت الشريعة بذكر هذه الصفات الملازمة في بعض الآيات، من ذلك قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ } ، أي: من صدق عليهم قول الصادقين، وكان الوصف ملازماً لهم حتى وصفوا به.

وقد بينت السنة النبوية شيئاً من ذلك، قال رسول الله ع: «عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدْقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَابًا» () .

قال القاضي عياض رحمه الله في شرحه لهذا الحديث: «فيه تحريض على تحرى الصدق وتجنب الكذب وترك التساهل فيه؛ فإن ذلك يؤدي إلى أمثاله، ويقع فيه ويكثر منه إذا لم يتحفظ من الكذب حتى يعرف به، ويكتب عند الله بالمبالغة في الصدق إذا اعتاده، أو بالكذب إذا اعتاده، فإن فعيل وفعال من " صديق، وكذاب " من أبنية المبالغة والكثرة. ومعنى كتبنا هنا: أي حكم عليه وله بذلك وحق له منزلة الصديقين وثوابهم، أو صفة الكذابين وعقابهم» () .

وَعُرِفَ بعض الناس ببعض الصفات الملازمة لهم، حتى صارت أعلاماً عليهم، ومنهم: سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه، الذي عُرف بهذا اللقب لتصديقه للنبي ع، فاذا ذكر اسم (الصديق) فلا ينصرف الذهن إلا إليه. وفي الجهة المقابلة نرى الكذاب صفة أطلقت على (مسلمة بن حبيب الحنفي) الذي لكذبه على الله ورسوله صار الكذب له سجية ملازمة، فأطلق عليه مسيلمة الكذاب.

وسبب توظيف الشهاب للمثل، نلاحظ أن تفسير الآية كما ذكره البيضاوي رحمه الله، إذ قال: "والمعنى سيلزمون وبال ما بخلوا به إلزام الطوق وعنه عليه الصلاة والسلام: " مَا مِنْ رَجُلٍ لَا يُؤَدِي زَكَاةَ مَالِهِ إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي عُنُقِهِ شِجَاعًا " () () ، وعلق الشهاب على هذا الكلام في حاشيته أنها الخصلة المشبهة بطوق الحمامة ولا تستعمل إلا في الشر ، إذ قال: " إن من أمثالهم (تقلدها طوق الحمامة) للخصلة والصفة وشبهه بطوق الحمامة في اللزوم قيل ولا يستعمل إلا في الشر فإن أرادوا في هذا المثل فصحيح " () .

سادساً: "أَشْرَبْتَنِي مَا لَمْ أَشْرَبْ" ()

ورد المثل عند الشهاب لتفسير قوله تعالى { وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ } () ، وهذا من أمثلتهم، ويضرب في ادعاء الرجل على صاحبه بما لم يفعل () .

وهو من الادعاء الباطل المنهي عنه شرعاً، قال تعالى: { إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّئًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ } ، فايذاء الناس من أشد الذنوب خطراً في المجتمع، ولا سيما حين يتهم أحدهم الآخر بما ليس فيه، فالافتراء من أعظم الذنوب، قال تعالى: { فَمَنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ } ، والافتراء من صفة الكافرين، قال تعالى: { إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكُذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ } .

والبهتان في اللغة: « بُهِتَ وَبُهَتْ مِنْ بَابِي قَرَّبَ وَتَعَبَ: دَهَشَ وَتَحَيَّرَ وَيُعَدَّى بِالْحَرَكََةِ فَيَقَالُ بَهْتَهُ يَبْهَتُهُ يَبْهَتُهُ بِفَتْحَتَيْنِ فَبُهَتْ بِالْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ وَبَهْتَهَا بَهْتًا مِنْ بَابِ نَفَعٍ فَذَفَعَهَا بِالْبَاطِلِ وَافْتَرَى عَلَيْهَا الْكُذِبَ وَالِاسْمُ الْبُهْتَانُ وَاسْمُ الْفَاعِلِ بَهْوْتُ وَالْجَمْعُ بُهْتٌ مِثْلُ: رَسُولٍ وَرَسُولٍ وَالْبُهْتَةُ مِثْلُ: الْبُهْتَانُ » () .

هو: « كذب يبهت سامعه ويدهشه ويحيره لفظاعته » () .

وقيل في سبب تسميته هكذا: «سمي به لأنه يبهت، أي: يسكت لتخيل صحته، ثم ينكشف عند التأمل» () .

وتتعدد صور الافتراء، فمنها:

الافتراء على الله تعالى، بأن يقول قال الله كذا، وهو كذب، أو الادعاء بأن الله له ولد وزوجة، أو تفسير كلام الله تعالى متعمداً الكذب فيه، قال تعالى: { فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ } .

الافتراء على رسول الله ع، وذلك بادعاء أقوال لم يقلها رسول الله ع، أو تفسير حديثه ع بخلاف ما يقصده، وهو يتعمد الكذب عليه ع، قال رسول الله ع: «مَنْ كَذَّبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَبْتَوِّا مَعْدَهُ مِنَ النَّارِ» () .

الافتراء على المؤمنين، بأن يتقول على أحد منهم شيئاً لم يفعله، أو قولاً لم يقوله.

سبب توظيف الشهاب للمثل هو دلالة كلمة (وأشربوا) ومعناها الميل والحُب ، فقد ورد عند الخليل إذ قال: " والإشراب: لونٌ قد أشرب من لُون.. [يقال] أشرب فلان حُبَّ فلان، أي: خالط قلبه. والصَّبُغُ يَنْشَرِبُ فِي النَّوْبِ، وَالنَّوْبُ يَنْشَرِبُهُ، أَي: يَنْتَشِفُهُ" () ، وقد ورد عند الجوهرى إذ قال: "وأشرب في قلبه حُبُّه، أي خالطه، ومنه قوله تبارك وتعالى: (وأشربوا في قلوبهم العجل)" () ، فأراد الشهاب التنبيه ، على أن (أشرب) تستعمل لدلالة حب أو بغض إذ قال: " كأنه شد في قلوبهم، لشغفهم به ، أو من الشراب أي أشرب حبه في قلوبهم ، لأن من عاداتهم أنهم إذا عبروا عن حب أو بغض استعاروا له اسم الشراب.... وفي المثل (أشربتني مالم أشرب) أي ادعيت عليّ ما لم أفعل " () .

"الخاتمة"

- الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام رسول الله وعلى آله وصحبه، وبعد...
- ففي نهاية رحلتي مع هذه النصوص في حاشية الشهاب لا بد من تسجيل بعض الثمرات التي توصلت إليها في رحلتي وكما يأتي:
- 1- إهتمام الشهاب الواضح في المثل في تفسير النصوص القرآنية.
 - 2- استعمال الشهاب للمثل في أكثر من موضع من حاشيته .
 - 3- إن للأمثال العربية دوراً مهماً في التوجيه والأرشاد.
 - 4- الصبغة الدينية التي تحلت بها بعض الأمثال العربية التي تم اقتباسها من القرآن الكريم، أو الحديث النبوي الشريف، أو الشعر، لتسجل أخلاقاً حسنة نمت عن حسن التفكير، وعظم الهدف المأخوذ منها.
 - 5- جاءت الأمثال لتحقيق غايات تربوية في المجتمع، وتصوب السلوك المذموم في المجتمعات لتنقل بها من التصرفات الخاطئة الى الصواب، وتحقق غايات اجتماعية معينة في المجتمع من شأنها أن تجعل المجتمع أكثر تماسكاً وترابطاً.
 - 6- اشتملت الأمثال على خصائص هي: الأصابة في المعنى، قصر العبارة، بلاغة العبارة.
- واخيراً أرجو الله تعالى أن أكون قد وفقت في تناول مادة هذا المبحث بما يخدم العربية وأهلها

المصادر وتكتب بهذا الشكل

- 1 السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن. 1394هـ- 1974م. الاتقان، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- 2 العسقلاني، أحمد بن علي. 1415هـ. الإصابة في تمييز الصحابة، ط1، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت.
1. اتفاق المباني وافتراق المعاني: سليمان بن بنين بن خلف بن عوض، تقي الدين، الدقيقي المصري، (ت 613هـ)، تحقيق: يحيى عبد الرؤوف جبر، دار عمار -- الأردن، ط/1، 1405هـ- 1985
2. اكمال المعلم إكمال المعلم بفوائد مسلم: عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن يحيى السبتي، أبو الفضل (ت: 544هـ)، المحقق: الدكتور يحيى إسماعيل، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط/1، 1419 هـ - 1998 م
3. أمالي ابن الشجري: ضياء الدين هبة الله بن علي بن محمد بن حمزة الحسني العلوي أبو السعادات ابن الشجري، (ت 542هـ)، تحقيق: محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط/1، 1413هـ- 1991م.
4. البحر المحيط لأبي حيان البحر المحيط: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت 745هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل، دار الفكر -- بيروت، 1420هـ.
5. البلاغة العربية البلاغة العربية: عبد الرحمن بن حسن حَبَنَكَة الميداني الدمشقي (ت 1425هـ)، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط/1، 1416 هـ - 1996 م .
- تاريخ الأدب العربي في العصر العثماني: بروكلمان (كارل)، اشراف محمود فهمي حجازي، وعمر صابر عبدالجليل، المنظمة العربية للتربية والثقافية والعلوم، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
6. التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، (ت 1393هـ) ، دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس - 1997

7. تحسين القبيح وتقيب الحسن: عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي، (ت-429هـ)، تحقيق: نبيل عبد الرحمن حياوي، دار الأرقم بن أبي الأرقم-بيروت/لبنان.
8. التعازي والمرثي والمواظ والوصايا: أبي العباس محمد بن يزيد المبرد، (ت-285هـ)، تحقيق: إبراهيم محمد حسن الجمل، نهضة مصر للطباعة والنشر.
9. تفسير البسيط التفسير البسيط: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت-468هـ)، المحقق: أصل تحقيقه في (15) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط/1، 1430 هـ.
10. تفسير الفاتحة والبقرة: محمد بن صالح بن محمد العثيمين: (ت-1421هـ)، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية
11. تفسير القرآن العظيم، شهرة الكتاب: تفسير ابن كثير: عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، شهرته: ابن كثير، تحقيق: مصطفى السيد محمد + محمد السيد رشاد + محمد فضل العجموي + علي أحمد عبد الباقي، مؤسسة قرطبة + مكتبة أولاد الشيخ
12. تفسير القرطبي= الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان: محمد بن أحمد بن أبي بكر، أبو عبدالله القرطبي (ت 671 هـ)، تحقيق: د. عبدالله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط/1، 1427هـ-2006م.
13. تفسير مقاتل بن سليمان: أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي، (ت-150هـ)، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث -- بيروت.
14. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، (ت-463هـ)، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية -- المغرب، 1387هـ، 5/174، وفتح الباري
15. تهذيب اللغة: محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، أبو منصور، (ت-370هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي -- بيروت، ط/1، 2001م.
16. التوضيح لشرح الجامع الصحيح: عمر بن علي بن أحمد الأنصاري ابن الملقن سراج الدين أبو حفص، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر.
17. جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري، (ت-310هـ)، أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط/1، 1420 هـ - 2000 م
18. جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري، (ت-310هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط/1، 1420 هـ - 2000 م
19. الجامع الكبير "سنن الترمذي": أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: د. بشار عواد معروف، دار الجيل - بيروت و دار الغرب الإسلامي - بيروت، ط/2، 1998م
20. الجمل في النحو: الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: فخر الدين قباد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/1، 1405هـ، 1985 م .
21. جمهرة الأمثال: للحسن بن عبد الله المعروف ب(أبي هلال العسكري)، (ت-1005هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل وعبد المجيد قطامش، دار الجيل، بيروت، ط/2، 1384 هـ - 1964م.

22. جمهرة اللغة: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، (ت321هـ) ، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط/1، 1987م.
23. حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، المسماة عناية القاضي وكفاية الرازي، للقاضي شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي (ت1069هـ)، تحقيق: الشيخ عبد الرزاق المهدي، ط/1، 1417هـ-1997م، دار الكتب العلمية بيروت، مقدمة المحقق
24. الحجة للقراء السبعة: الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي الأصل، أبو علي، (ت377هـ) ، تحقيق: بدر الدين قهوجي - بشير جويجايي، راجعه ودققه: عبد العزيز رباح - أحمد يوسف الدقاق، دار المأمون للتراث - دمشق / بيروت، ط/2، 1413 هـ - 1993م.
25. الخفاجيون في التاريخ: محمد عبد المنعم خفاجي، مطبعة الأدب الحديث القاهرة، ط/1، 1971م
26. خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر: محمد الأمين المحبي، مكتبة الخياط -بيروت، 4/76.
27. دائرة المعارف الإسلامية: تعريب أحمد الشنتناوي ومحمد ثابت الفندي وإبراهيم زكي خورشيد وعبد الحميد يونس، مصر 1933م-1975م
28. ديوان أبي الطيب بشرح أبي البقاء العكبري المسمى بالتبيان في شرح الديوان: أبو البقاء العكبري، المحقق: مصطفى السقا - إبراهيم الإبياري - عبد الحفيظ شلبي، تصوير دار المعرفة
29. ديوان الإمام الشافعي: الإمام أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي المطلبي القرشي، (ت204هـ: 820م)، تحقيق: الدكتور محمد عبد المنعم الخفاجي، مكتبة الكليات الأزهرية -القاهرة.
30. ديوان حسان بن ثابت، حسان بن ثابت بن المنذر الخزرجي الأنصاري شاعر مخضرم، (ت54هـ) ، الديوان الشعري، تحقيق: سيد حنفي حسنين، مراجعة حسن كامل الصيرفي الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1974م، 1/226، و شرح ديوان حسان بن ثابت الانصاري: عبد الرحمن البرقوقي، 1998م، المكتبة التجارية الكبرى، مصر.
31. ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا، للشهاب الخفاجي، تحقيق: عبد الفتاح الحلو، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ط/1، 1961م، 2/327، والفوائد البهية في تراجم الحنفية: عبد الحي اللكنوي، تحقيق أحمد الزعبي، دار الارقم بيروت، 1418هـ-1997م
32. زهر الاكم في الامثال والحكم: الحسن بن مسعود بن محمد، أبو علي، نور الدين اليوسي (ت1102هـ) ، المحقق: د محمد حجي، د محمد الأخضر، الشركة الجديدة - دار الثقافة، الدار البيضاء -- المغرب، ط/1، 1401 هـ - 1981 م
33. سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر: علي صدر الدين المدني، ابن معصوم، مطابع علي بن علي، الدوحة.
34. سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (ت275هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت .
35. السيرة النبوية لابن هشام: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (ت213هـ)، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط/2، 1375هـ - 1955 م
36. شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو: خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد الجرجاوي الأزهرى، زين الدين المصري، وكان يعرف بالوقاد (ت905هـ)، دار الكتب العلمية -بيروت، ط/1، 1421هـ-2000.

37. شرح ديوان زهير بن أبي سلمى: برواية الإمام أبي العباس أحمد بن يحيى بن زيد الشيباني "تعلب"، دار الكتب المصرية، 2007م، ص34.
38. شرح صحيح البخاري: علي بن خلف، أبو الحسن ابن بطلال (ت 449هـ)، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد -- الرياض، ط/2، 1423هـ - 2003م.
39. الشهاب الخفاجي ومنهجه في التفسير، إعداد زهير هاشم ريبالات المشرف الدكتور مصطفى المشني، قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التفسير، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، حزيران 2004.
40. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: إسماعيل بن حماد الجوهري (ت 393 هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين- بيروت، ط/4، 1990م.
41. صحيح البخاري: كتاب النكاح، باب الخطبة، رقم الحديث (5146) ، وكتاب الطب، باب: إنَّ من البيان لسحرا، رقم الحديث (5767) .
42. ضياء السالك إلى أوضح المسالك: محمد عبد العزيز النجار، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط/1، 1422هـ - 2001م.
43. طراز المجالس: أحمد بن محمد الخفاجي، شهاب الدين، المطبعة الوهبية.
44. عقود الزبرجد على مسند الإمام أحمد في إعراب الحديث: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت 911هـ) ، تحقيق: حسن موسى الشاعر، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، 74/67.
45. علم الدلالة: أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط/5، 1998م، ص11.
46. علم الدلالة: محمد سعد محمد، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، مصر، ط/1، 2002م.
47. العُمدة في محاسن الشعر وآدابه: الحسن بن رشيق، أبو علي القيرواني (ت 463 هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط/5، 1401 هـ = 1981 م.
48. العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت 170هـ)، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
49. غريب الحديث: القاسم بن سلام، أبو عبيد الهروي (ت 224 هـ)، تحقيق: د. حسين محمد شرف، مجمع اللغة العربية- القاهرة، 1415 هـ = 1994م.
50. الفاخر: المفضل بن سلمة بن عاصم، أبو طالب، (ت نحو 290هـ) ، تحقيق: عبد العليم الطحاوي، مراجعة: محمد علي النجار، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، ط/1، 1380هـ .
51. الفائق في غريب الحديث والأثر: محمود بن عمر، أبو القاسم جار الله الزمخشري (ت 538هـ)، تحقيق: علي محمد الجاوي -محمد أبو الفضل إبراهيم، عيسى البابي الحلبي وشركاه- القاهرة، ط/2.
52. فتح الباري شرح صحيح البخاري: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت 852 هـ)، دار طيبة- الرياض، ط/1، 1426هـ - 2005م.
53. فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الاندلسي، (ت 487هـ)، تحقيق: إحسان عباس، مؤسسة الرسالة ، بيروت -- لبنان، ط/1، 1971م.
54. فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشیخات والمسلسلات: عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، تحقيق: إحسان عباس، دار المغرب الإسلامي، ط/2، 1402هـ-1982م .

55. فهرس مخطوطات مكتبة المسجد الأقصى المبارك: خضر سلامة، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، 1416 هـ - 1996 م.
56. الكشف للزمخشري
57. لسان العرب: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، (ت 711هـ)، دار صادر -- بيروت، ط/3، 1414 هـ.
58. اللسانيات النشأة والتطور: أحمد مومن، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عنكون، الجزائر، 2012م، 239.
59. مجمع الامثال للميداني: 2/158، وكتاب الأمثال في الحديث النبوي: أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حبان أبي الشيخ الأصبهاني، (ت 369هـ)، تحقيق: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، دار السلفية، 1408 هـ -- 1987 م، مكان النشر بومباي -- الهند.
60. المخصص: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت: 458هـ)، المحقق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي -- بيروت، ط/1، 1417 هـ 1996 م.
61. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري، (ت 1014هـ)، دار الفكر، بيروت -- لبنان، ط/1، 1422 هـ - 2002 م، 1/135.
62. المستقصى في أمثال العرب: أبي القاسم جارالله محمود بن عمر الزمخشري، (ت 538هـ)، دار الكتب العلمية، في بيروت، 1987 م.
63. مسند الامام أحمد بن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن اسد الشيباني، (ت 241هـ)، تحقيق شعيب الارنؤوط-عادل مرشد واخرون، إشراف الدكتور عبدالله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة ط/1، 1421 هـ - 2001 م.
64. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس، (ت نحو 770هـ)، المكتبة العلمية -- بيروت، 1/ 63.
65. مطالع الأنوار على صحاح الآثار: إبراهيم بن يوسف بن أدهم الوهراني الحمزي، أبو إسحاق ابن قرقول، (ت 569هـ)، تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - دولة قطر، ط/1، 1433 هـ - 2012.
66. معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت 510هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط/1، 1420 هـ.
67. المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات/ حامد عبد القادر / محمد النجار)، الناشر: دار الدعوة.
68. معجم قبائل العرب القديمة والحديثة: عمر رضا كحالة، المكتبة الهاشمية دمشق، 1368/1949
69. مفاتيح الغيب = التفسير الكبير (تفسير الرازي): محمد بن عمر بن الحسن الرازي، أبو عبد الله، فخر الدين الرازي (ت: 606هـ)، دار إحياء التراث العربي -- بيروت، ط/3، 1420 هـ.
70. مفاتيح الغيب = التفسير الكبير (تفسير الرازي): محمد بن عمر بن الحسن الرازي، أبو عبد الله، فخر الدين الرازي (ت: 606هـ)، دار إحياء التراث العربي -- بيروت، ط/3، 1420 هـ.
71. المفاتيح في شرح المصابيح: الحسين بن محمود بن الحسن الزيداني المظهري الكوفي مظهر الدين، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية -- الكويت، ط/1، 1433 - 2012 .

72. المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية المشهور بـ «شرح الشواهد الكبرى»: بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى العيني (ت 855 هـ)، تحقيق: أ. د. علي محمد فاخر، أ. د. أحمد محمد توفيق السوداني، د. عبد العزيز محمد فاخر، دار السلام -- القاهرة، ط1، 1431 هـ - 2010 م.
73. مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين، (ت 395هـ) ، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، 1399هـ-1979م.
74. موطأ الإمام مالك برواية الحدثناني: سويد بن سعيد الحدثناني، تحقيق: د. عبد المجيد التركي، دار الغرب الإسلامي- بيروت، ط1، 1415 هـ-1994 م.
75. النهاية في غريب الحديث والأثر: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير، (ت 606هـ) ، المكتبة العلمية - بيروت، 1399 هـ - 1979 م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي.